تجليد صالح الدقر
تلفون ٢٢٩٧٧

Cat. Sept. 1941 Gift

هذه

أحكم أفكارنا

هذا اهدافنا

من آمن بها فهو منا

« سامي شوكة »

320.54
S637hA
c.1

مجموعة محاضرات ومقالات وأحاديث قومية

للدكتور سامي شوكة

حامي الفتوة ومدير المعارف العام

جمعها وطبعتها

(مجلة المعلم الجديد)

في وزارة المعارف

وقدمتها هدية إلى قرائها

عن سنتها الرابعة

58384

حقوق الطبع محفوظة

١٩٣٩ م — ١٣٥٨ هـ

مطبعة التفيض الاهلية — بغداد

Cat. Sept. 1941 Egypt

LIBRARY OF THE ERIGAN UNIVERSITY

موضوعات هذه المجموعة

فتوة

صحيفة

١ – صناعة الموت
٤ – اخشوشنوا
٧ – اهداف الفتوة العليا
١٠ – اهداف النشء العراقى
١٥ – اهداف مدارسنا
١٧ – العراق يربى الناشئة العربية

قومية

٢١ – فيصل العظيم
٢٥ – ٩ شعبان
٣٠ – معنى القومية
٣٤ – الامبراطورية العربية
٤٢ – تاريخنا القومى
٤٦ – عواطف الامم حين النهوض
٥٠ – القومية العربية قبيل الحرب العامة
٥٧ – عناصر تكوين الامة
٦٢ – عناصر القومية الحقة

اجتماع

صحيفة

٦٧ – اسباب عظمة اللغة العربية
٧٠ – القرية الناهضة
٧٤ – الاكتشافات الآلية
٧٩ – مستقبل العراق وحماية الطفل
٨٢ – نفوس العراق

بين العراق ومصر

٨٩ – الجسر العربى بين العراق ومصر
٩٢ – الرحلة الى مصر
٩٤ – صحافة مصر وخطاب الدكتور
٩٧ – وداع مصر
٩٨ – لن نترك قلبكم يغرم بغيرنا
٩٩ – فى دمشق
١٠٣ – وداع سورية
١٠٤ – سيادة العروبة ومظاهرها
١٠٨ – حديث مع مندوب العالم العربى

صحيفة

١١١ – اذا – قصيدة للشاعر الانجليزى « رديارد كبلنغ » منثورة الى العربية

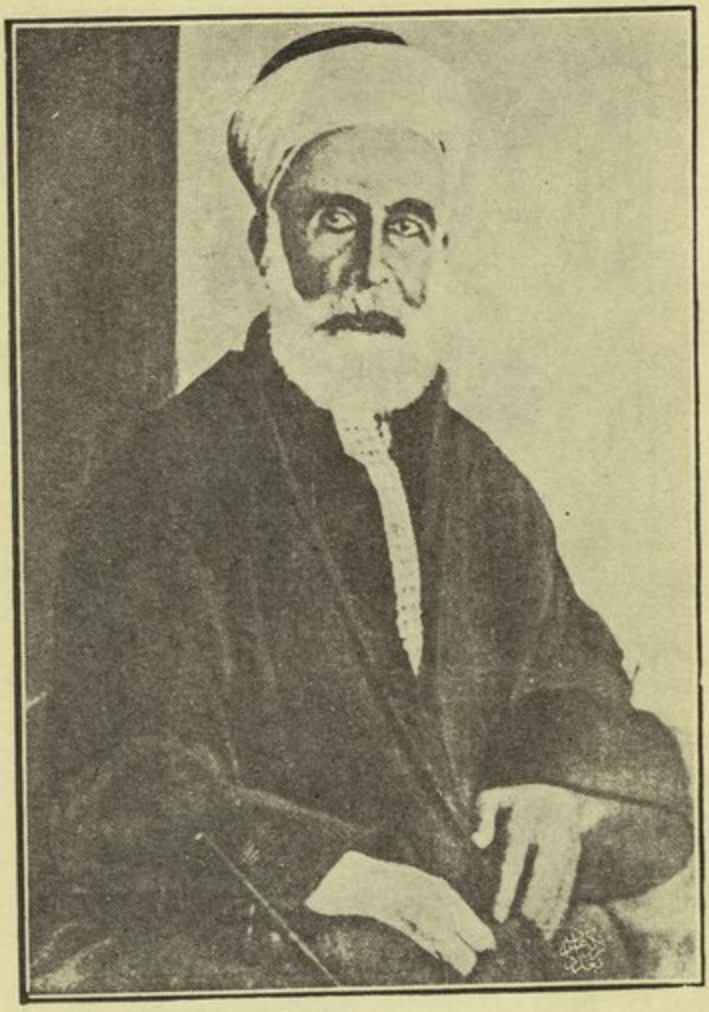

قائد النهضة العربية ساكن الجنان

صاحب الجلالة الهاشمية الملك حسين

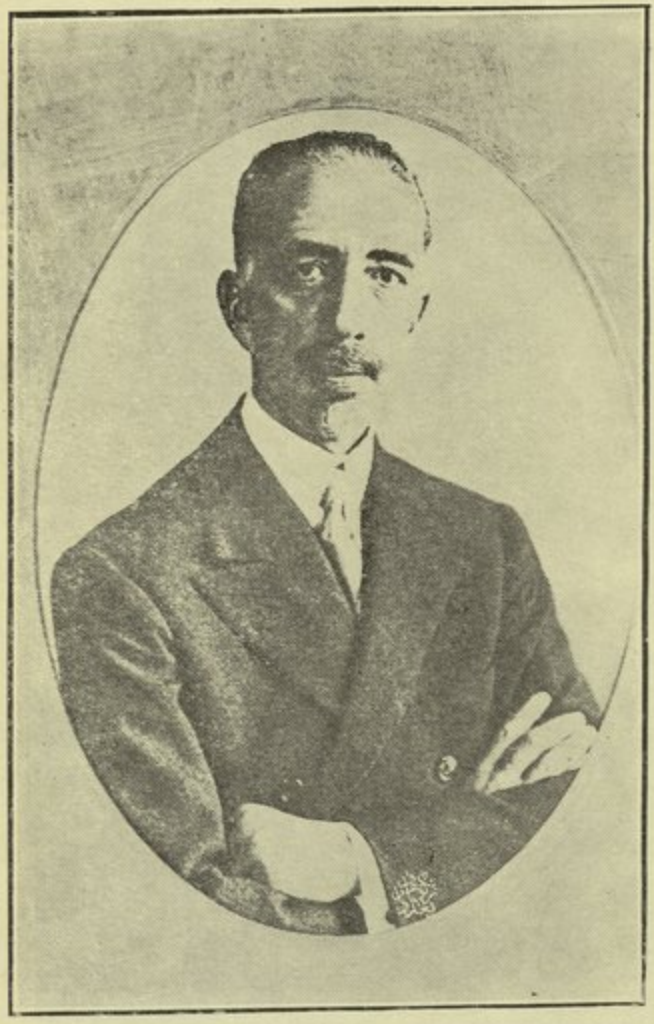

المغفور له باني مجد العراق صاحب الجلالة الهاشمية
الملك فيصل الاول

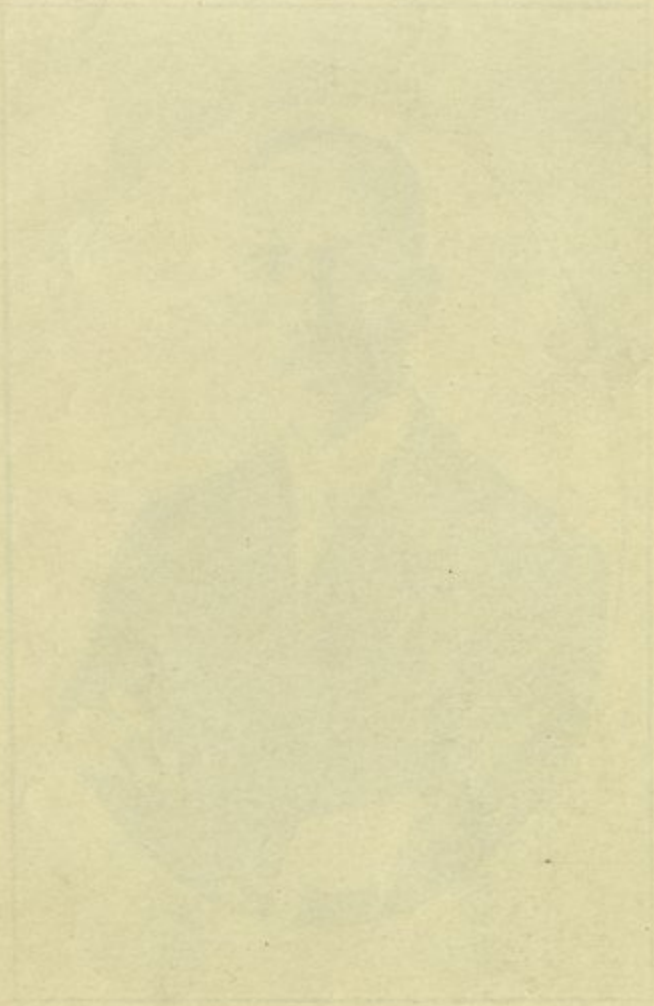

فقيد الامة العربية صاحب الجلالة الهاشمية
الملك غازى المعظم

صاحب الجلالة الهاشمية الملك فيصل الثانى ملك العراق

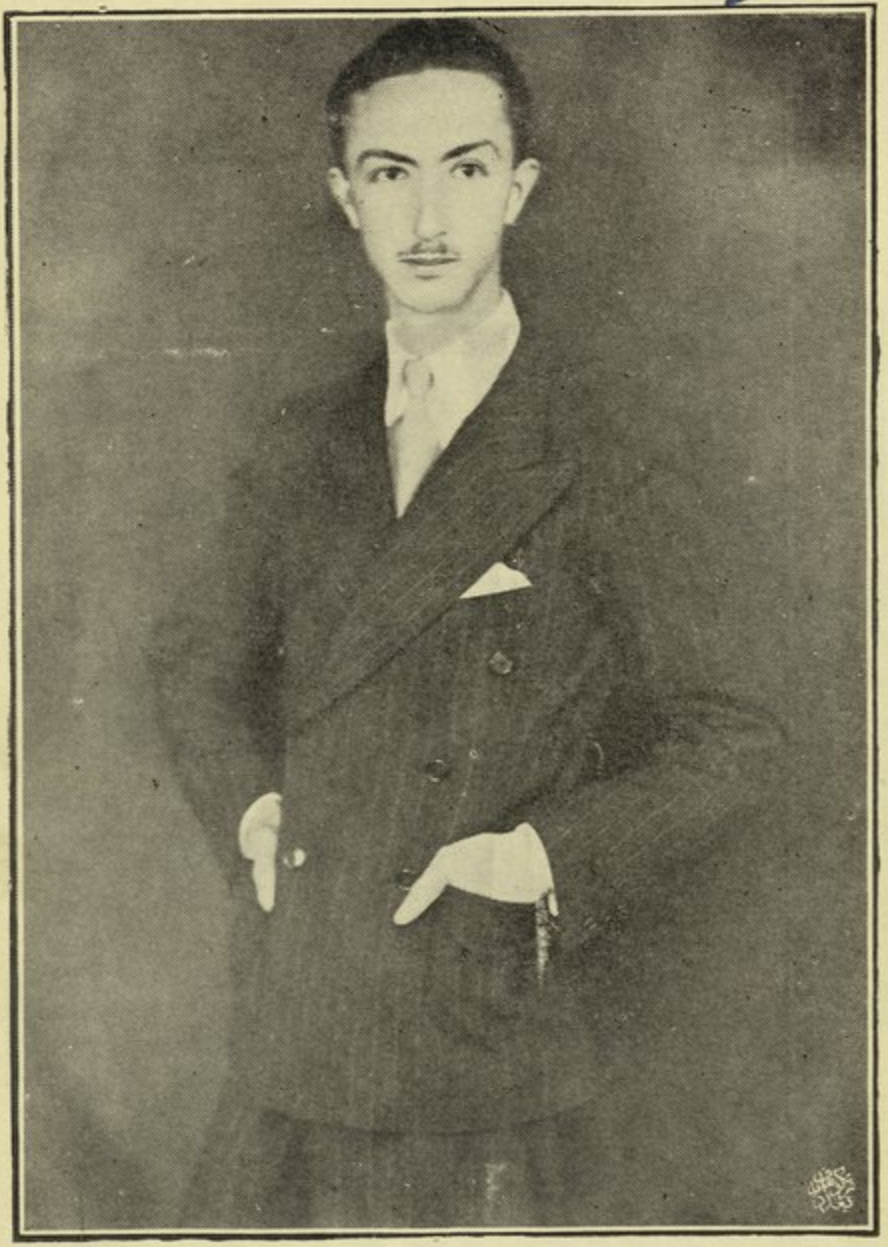

الوصى على عرش العراق صاحب السمو الهاشمى

الامير عبدالآله المعظم

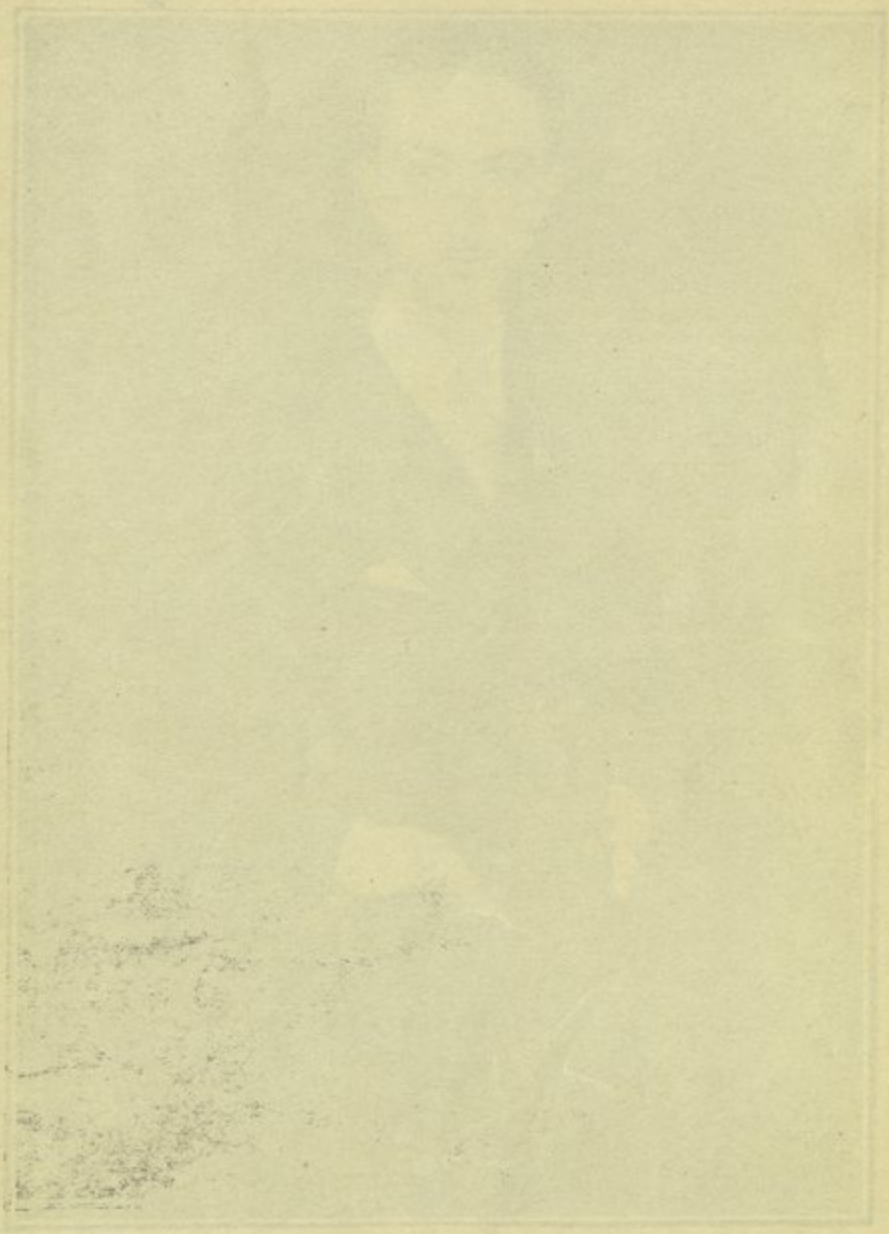

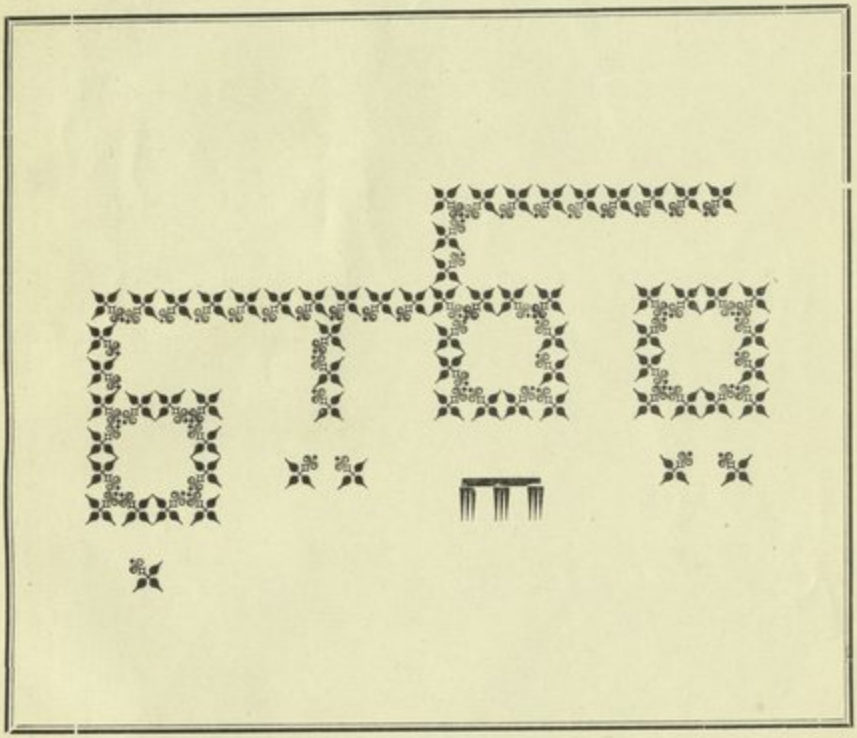

اول فوج من الفتوة

قسم الخيالة المؤلف من طلاب الصفوف المنتهية فى الثانوية المركزية ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣
ويرى فى وسط الصورة معالى السيد عبدالمهدى وكان حينئذ وزيرا للمعارف
والى يمينه سعادة الدكتور سامى شوكة وقد كان مديرا عاما للمعارف ايضا

اول فوج من فتيان الثانوية المسائية المؤلف من الصفوف الرابعة العلمية والادبية
يتوسطهم حامى الفتوة الدكتور سامى شوكة ومديرهم المؤيد الاول
السيد عبدالهادى المختار ومدربهم المؤيد الثانى السيد محمد على صدقى

صناعة الموت (*)

———:o:———

غدا يذهب مديركم السيد درويش المقدادى الى وزارة الدفاع ليجتمع مع كبار موظفيها لتقرير منهج دروسكم العسكرية .

هل تعلمون ما هو هذا الدرس ؟ وما يقصد من ادخاله هذه السنة فى مناهجنا الدراسية ؟

جمعتكم هذا اليوم لاوضح لكم هذه النقطة .

نسمع ونقرأ كثيرا لا استقلال سياسى بلا استقلال اقتصادى او لا استقلال بلا علم .

ولكن مصر التى فاض فى سنوات عديدة دخلها على خرجها سنويا ملايين من الجنيهات وفيها ارقى الجامعات والمدارس واكبر علمـاء الشرق الادنـى قد تأخر استقلالها الى يومنا هذا .

وخزائن راجات الهنود تحتوى مئات الملايين من الذهب ومقادير لا تحصى من الاحجار الكريمة وتحتوى اكثر من ٢٥ جامعة كبيرة تخرج سنويا آلاف الشبان الحاصلين على شهادات عالية والهند مستعمرة .

ونسبة المتعلمين فى سورية ٧٦ بالمائة واكثرية اهاليها الساحقة لا تختلف من وجهة الرقى والمدنية والثقافة عن شعوب اوربة الجنوبية ومع ذلك نجدها يا للاسف لا تزال محرومة من الاستقلال .

ومن الجهة الاخرى .

نجد ان الافغان التى تعيش عيشة القرن الرابع عشر الميلادى والتى لم تمتلىء خزائنها يوما بالاصفر الرنان مستقلة .

وهذه جارتنا المملكة السعودية التى يعيش اهلها على لبن الابل وتمر النخيل والتى لا تدرس فى مدارسها الفنون العصرية والتى لا تخرج ثقافتها عن حدود الدين مستقلة .

واليمن العربية كذلك مع حرمانها من المال مستقلة ايضا .

(*) القيت على طلاب الثانوية المركزية فى خريف سنة ١٩٣٣ .

اذن فالمال والعلم ليسا الكل فى الكل فى استقلال الامم وليسا المعول الوحيد الذى تهدم به اسوار الاستعمار وتحطم به قيود الذل •

بل

هناك شيء آخر هو اهم من المال والعلم يصون شرف الامم ويحول دون دنو الذل والاستعباد منها •

هو القوة •

فالقوة هى التربة التى تنبت عليها بذرة الحق • والامة التى ليست لها قوة محكومة للذل والاستعباد •

فالثروة بلا قوة من اهم اسباب الذل والاستعباد اما العلم بلا قوة فلا ينتج سوى كثرة الصراخ والبكاء من الطرف الضعيف وكثرة الضحك عليه من الطرف القوى•

واحيانا يستمر هذا البكاء والضحك عشرات السنين بل المئات كما هو الحال فى الهند وغيرها ومعنى القوة هنا :

هو اتقان صناعة الموت •

فالامة التى لا تتقن صناعة الموت بالحديد والنار ترغم على الموت تحت سنابك الخيل واحذية الجند الاجنبى •

واذا كانت الحياة حقا فالقتل دفاعا عن الحياة هو حق ايضا • ولو لم يكن عند مصطفى كمال ٤٠٠٠٠ ضابط مدرب على صناعة الموت فى ثورة الاناضول لما رأينا تركية تعيد مجد ياووز سلطان سليم فى القرن العشرين •

ولو لم يكن عند البهلوى آلاف الضباط الذين يتقنون هذه الصناعة المقدسة لما وجدناه يعيد مجد داريوس •

ولو لم يكن لدى موسولينى عشرات الالوف من اصحاب القمصان السود الذين برعوا فى مهنة الموت لما استطاع ان يضع على مفرق « ويقتور امانويل » تاج قياصرة روما الاولين •

الامة الالبانية فى البلقان استقلت والعراق العربى فى الشرق القريب استقل وبذرة القصب هناك نبتت وبذرة السدر هنا نبتت •

وشجيرة القصب لا تقى اكثر من بضعة سانتمترات من الارض مهما نمت وشجرة السدر تقى عشرات ومئات من الامتار بعد مرور بضع سنوات على نموها • حيث ان

العراق يمتد افق آماله الى البلاد العربية كافة بينما المانيا ليس باستطاعتها ان تمد بصرها الى ابعد من حدودها .

بروسية كانت تحلم بتوحيد الشعب الالمانى قبل ستين سنة .

وما المانع من ان يحلم العراق بتوحيد البلاد العربية منذ اليوم بعد ان حقق حلمه بالاستقلال قبل عشر سنوات .

على ضفاف هذا النهر العظيم الذى نراه صباح مساء قد اقام هارون الرشيد عرشه ومن على هذا الساحل الرملى كان يحكم مئتى مليون نسمة .

ولا نستحق ان نفخر به وندعى اننا احفاده اذا لم نعد ما بناه هو وهدمه اعداء العرب .

روح هارون الرشيد وروح المأمون تريدان ان يكون للعراق بعد زمن قريب نصف مليون جندى ومئات الطائرات فهل فى العراق من جبان لا يلبى هذا النداء ؟

اما دروسكم العسكرية ايها الشبان هذه السنة فهى دروس القوة التى تحتاج اليها البلاد .

والتى يتطلبها تأريخنا المجيد .

اذا كنا لا نريد الموت تحت سنابك الخيل واحذية الجند الاجنبى فعلينا ان نتقن صناعة الموت ، صناعة الجندية ، المهنة العسكرية المقدسة .

تقتصر هذه الدروس فى هذه السنة على المدرسة الثانوية المركزية فى العاصمة وستشمل فى السنين الآتية سائر المدارس الثانوية فى البلاد ودور المعلمين . والعلم والثروة سيكونان فى متناول ايدينا نغرف منهما ما نشاء بعد ان نكون اقوياء كما يتطلبه تأريخنا العظيم .

فالى القوة والى اتقان صناعة الموت المقدسة ايها الشبان رافعين راية فيصل خليفة هارون الرشيد عاليا عاليا .

اخشوشنوا (*)

—:o:—

لما توغل عمرو بن العاص فى مصر يقود جيشه الصغير عددا الكبير نفسا وروحا وايمانا ارسل اليه المقوقس المندوب السامى لهرقل امبراطور بيزانس وفدا يفاوضه فى الصلح وعندما رجع الوفد فاشلا فى مهمته لاصرار عمرو بن العاص على فتح مصر قال كبيرهم للمقوقس : « رأينا قوما الموت احب اليهم من الحياة والتواضع احب اليهم من الرفعة ليس لاحد منهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة وانما كان جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم وامیرهم كواحد منهم لا يعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد فيهم من العبد ، واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم احد ، يغسلون اطرافهم بالماء ويخشعون فى صلاتهم » وقال عبادة بن الصامت للمقوقس حين ارسله عمرو بن العاص على رأس وفد ليفاوضه فى تسليم مصر للعرب « انما رغبتنا وهمتنا الجهاد فى الله . وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة فى دنيا ولا طلب للاستكثار منها ، الا ان الله عز وجل ، قد احل لنا ذلك ، وجعل لنا مما غنمنا من ذلك حلالا ، وما يبالى احدنا ان كان له قنطار من ذهب او كان لا يملك الا درهما لان غاية احدنا من الدنيا أكلة يأكلها ليسد بها جوعه ليله ونهاره وشملة يلتحفها فان كان احدنا لا يملك الا ذلك كفاه وان كان له قنطار من ذهب انفقه فى طاعة الله واقتصر على هذا الذى بيده . انما النعيم والرخاء فى الآخرة وبذلك امرنا الله . امرنا به نبينا وعهد الينا ان لا تكون همة احدنا من الدنيا الا ما يمسك جوعته ويستر عورته وتكون همته وشغله فى رضوانه وجهاد عدوه » .

وقال خالد بن الوليد حين مات « لقيت كذا وكذا زحفا وما فى جسدى شبر الا وفيه ضربة بسيف او طعنة برمح وها انا ذا اموت على فراشى حتف انفى كما يموت البعير فلا نامت اعين الجبناء » .

فهكذا كانت تشعر اجدادنا وهكذا كانت تؤمن وهكذا كانت تتكلم وتفعل حتى

(*) القيت لمناسبة مهرجان الفتوة فى الثانوية المركزية حين رفعت لوحة : « اخشوشنوا فان الترف يزيل النعم » .

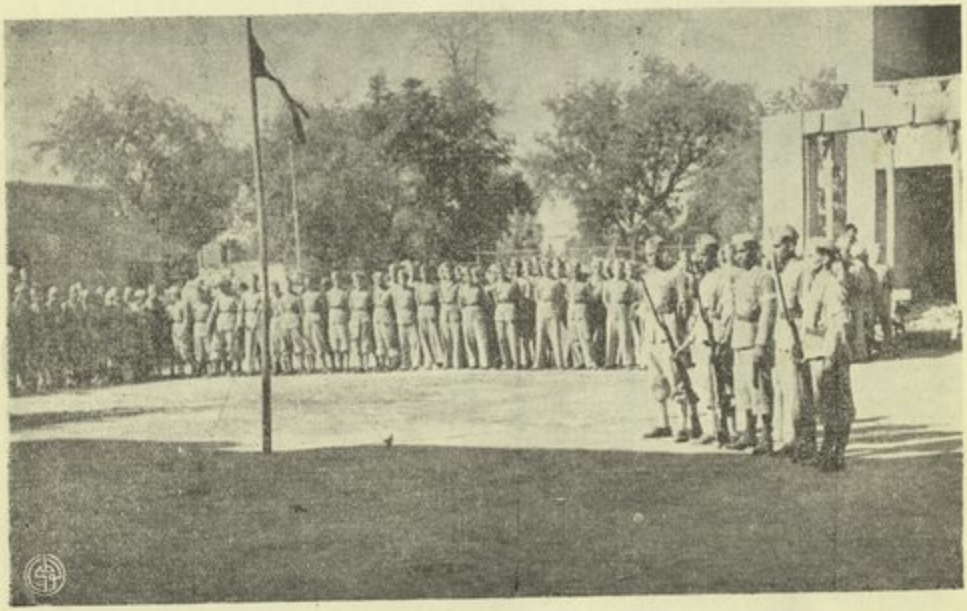

مراسيم تحية العلم العراقي من قبل فتيان الثانوية المركزية يوم ١١-٦-٣٩

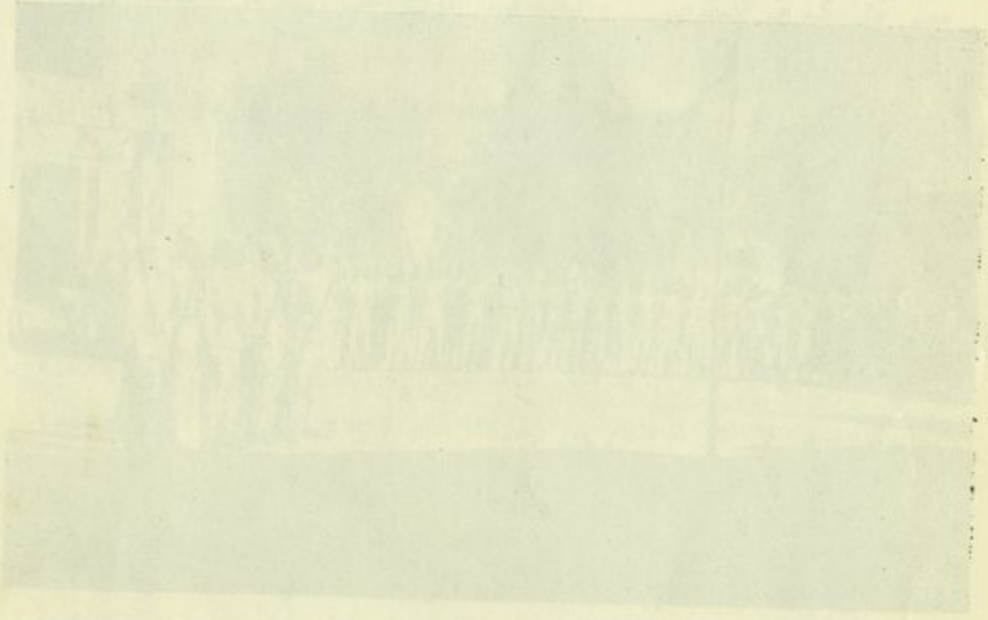

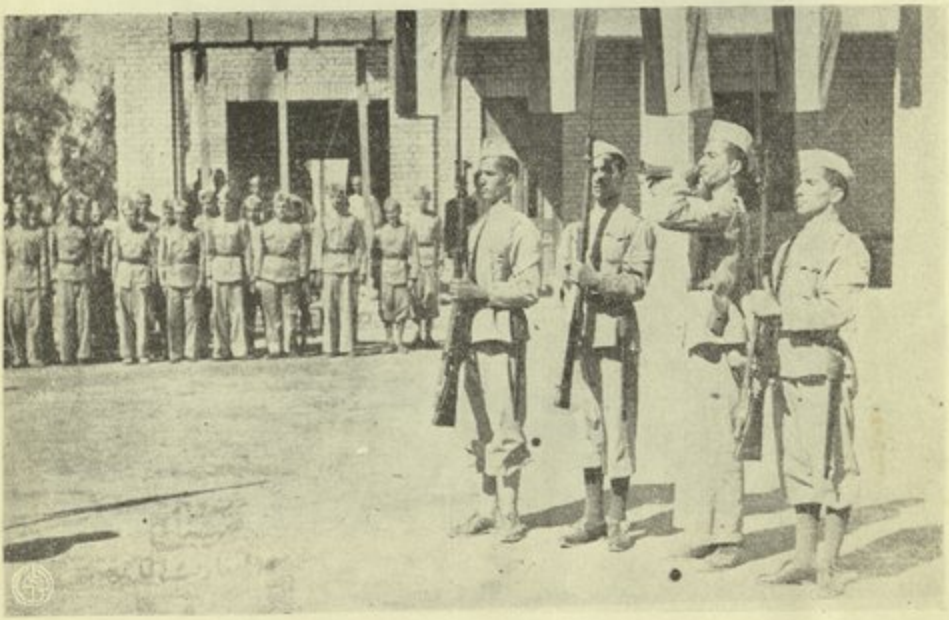

مراسيم رفع العلم العراقي من قبل فتيان الثانوية المركزية يوم ١١-٦-٣٩

سعادة حامى الفتوة مدير المعارف العام
يفتش فصيل الحرس من فتيان الثانوية
المركزية يوم ١١-٦-٣٩

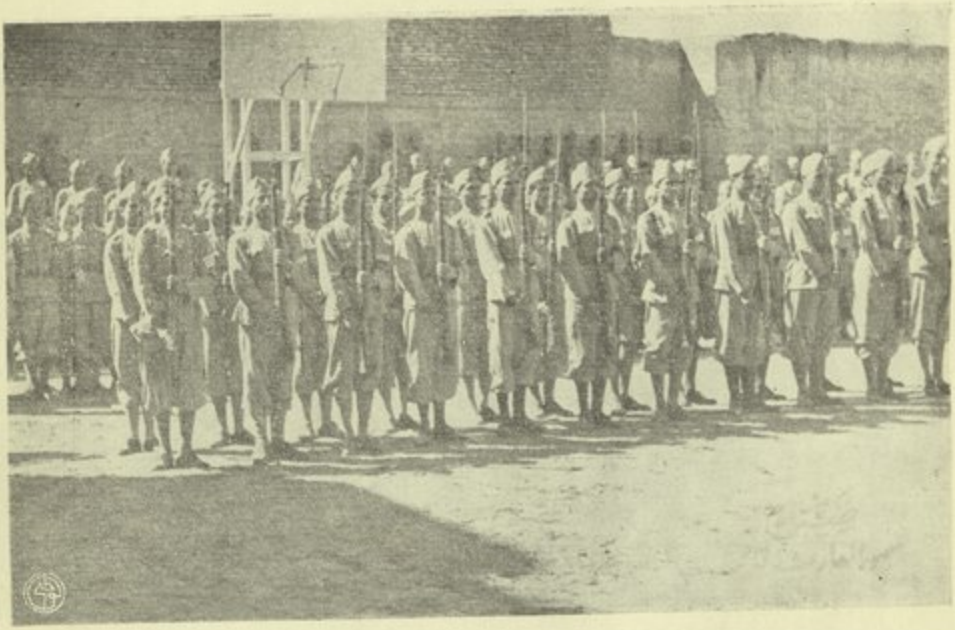

فصيل الحرس من فتيان الثانوية المركزية يؤدون مراسيم تحية العلم العراقي

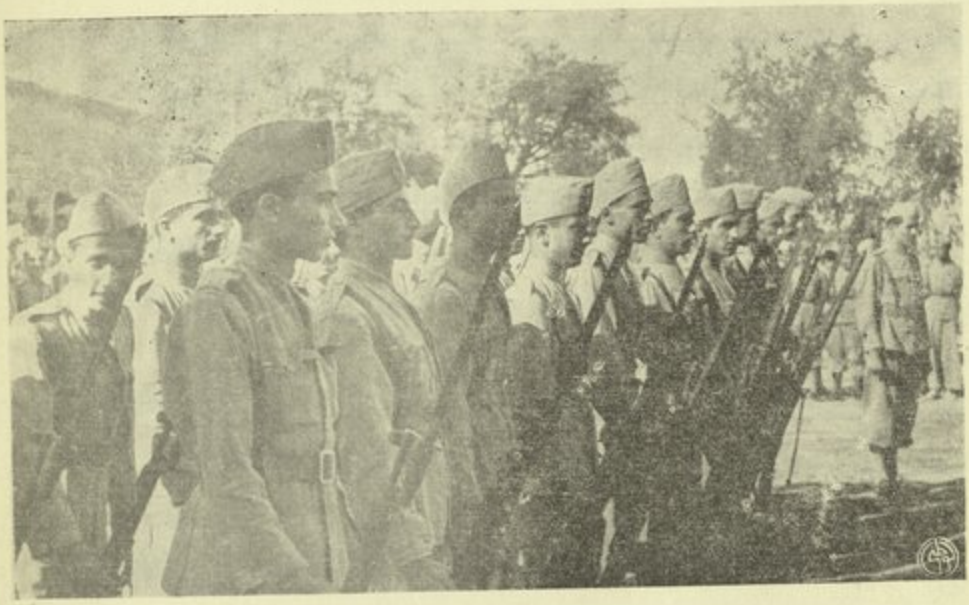

يرى فتيان الثانوية المركزية يوم ١١-٦-٣٩ مجتمعين فى حفلة رفع لوحة
« اخشوشنوا فان الترف يزيل النعم »

فتحت ثلث الدنيا بايمانها وافعالها وهدت ثلث الدنيا الى سواء السبيل .

فحين تقومون انتم يا فتوة العراق بتمارينكم العسكرية انظروا بابصاركم الطاهرة الى السماء تشاهدوا ارواح خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وطارق بن زياد وعقبة بن نافع وموسى بن نصير وقتيبة بن مسلم وسعد بن ابى وقاص ترفرف فوق رؤوسكم الفتية وسيظهر من بين صفوفكم انتم من سيملأ فراغ هؤلاء الاجداد الذين فتحوا لنا الارض وشادوا لنا الممالك .

يجب ان نمرن نفوسنا على ملكة تقدير قوة الخصم ثم يجب ان نمرن نفوسنا على ملكة الغضب وكظمه وكتمانه وفى اللحظة التى نشعر فيها اننا سنتغلب عليه ينبغى ان نفسح المجال لغضبنا المكبوت ان يتدفق من كل جوانبنا كالرعد والصواعق ثم ننقض على عدونا كالسيل الجارف فندكه دكا ثم نسفك دمه سفكا .

لا توجد لذة فى العالم تعادل لذة الغضب المقرون بايمان الانتصار كما لا يوجد سرور يعادل سرور الفتك بالعدو وتمزيق اوصاله اربا اربا واراقة دمه فى ساحات الوغـــى .

فالغضب المقدس لاجل البلاد يرتفع بالنفس الى درجة من السمو تصبح معها الحياة امرا تافها صغيرا حقيرا ونفس كهذه تتلقى الموت بقهقهة ساخرة وبجذل نشوان .

فالرصاص والسيف والقنابل اشـرف منزلة والذ مذاقا من الميقروب والحمى والقيح فلنمت بها حسب رغبة خالد بن الوليد بدلا من ان نموت على الفراش نحتضن الحمى وجراثيم المرض وقوارير دواء الطبيب .

فليس هناك قدسية اعظم من قدسية الشهيد الذى يريق دمه لاجل بلاده ، فبقدر ما تكون الشاة المذبوحة طاهرة بقدر ما تكون هى نفسها نجسة وقذرة اذا ماتت بدون ذبح .

فلنقدس الموت قتلا واستشهادا فى سبيل البلاد بقدر احتقارنا الموت على الفراش ولنركع خاشعين امام « صناعة الموت » .

ليس الاجنبى فى عرف فتوة العراق الذى لا يملك دفتر الجنسية العراقيـة بل الاجنبى فى عقيدتنا هو الذى لا يشعر شعورنا فى تقديس كرامة الوحدة العراقية حتى ولو حمل تسعين دفترا للجنسية او كانت مقابرنا تغص بعظـام اجـداده منذ آلاف السنين . والاجنبى عندنا هو الذى يكيد ويدس للوحدة العربية وهذا هو ليس باجنبى

عنا بالعقيدة والايمان والروح فقط بل وعدونا اللدود ايضا .

ومسيلمة الكذاب كان يمانيا عربيا ولكنه كان خائنا فقتلته العرب ومحقته هو ومن معه محقا ، وسلمان الفارسى رضى الله عنه كان فارسيا ولكنه اسلم واستعرب وكان صادقا فى اسلامه وعروبته فرفعته فوق رؤوسها العرب وقدسته تقديسا . فالفتوة العراقية ترى سلمان الفارسى المستعرب عن عقيدة وايمان والذى خدم الامة العربية منها بينما تتبرأ من مسيلمة الكذاب وامثال مسيلمة الكذاب .

من هنا سار جند الامبراطورية العربية لفتح العالم ففتحناه حتى بلاد الصين شرقا وفتحناه حتى اواسط اوروبا غربا . هدينا ثلث سكان الارض وعلمناهم الايمان بالله وعلمناهم ان « رأس الحكمة مخافة الله » . وكل لغات الشرق القريب والاوسط اكثر من نصفها عربية . وبرهن الواقع والحقيقة على عدم امكان انقاذ هذه اللغات من سيطرتها الجبارة . ثلث سكان الارض اذا اصابهم مكروه يستعينون برب القرآن العربى ويتوجهون الى رسوله العربى .

الجيش يريد منكم ان تكونوا طيارين ، وابطالا وقوادا فاستعدوا لتكونواخير امة اخرجت للناس .

وانى اناشد الفتيات العربيات حين يكبرن فيصبحن امهات ان يلدن لنا ابطالا وجنودا نسد بهم فراغ من يموت من ابطالنا فى ساحات الوغى والشرف ان شاء الله . واريد منهن ان لا يحببن الا الشجعان ولا يفتحن قلوبهن ولا يمددن ايديهن الا لمن يعاهدهن على الموت لاجل العروبة والعرب .

فهل تريدون منى اصلحكم الله بعد هذا ان افسر لكم معانى هذه اللوحة التى سطر عليها .

« اخشوشنوا فان الترف يزيل النعم » ؟ .

اهداف الفتوة العليا

وتوحيد ملابس الفتيان (*)

ان الغاية من التثقيف تتناول تكوين الاخلاق . وعلى الاخص اخلاق الرجولة والفروسية بقدر ما تتناول تعليم العلوم على مختلف انواعها وقد برهنت التجارب على ان احسن مدرسة لتكوين الاخلاق هى ساحات الجيش والنظم العسكرية التى تجعل من الفرد رجلا بشجاعته ووطنيته وصراحته مترفعا عن كل ما هو صغير ووضيع ، وشبابنا فى العصر الحاضر هو اكثر حاجة الى التدريب الاخلاقى مما سبقه من شباب الاجيال الماضية وذلك لانتشار وسائل الترف والمدنية واللهو والترهل الجسمى والاخلاقى بنسبة انتشار وسائط الملاذ ومتع الحياة غير البريئة عما كان عليه الوضع فى الازمنة السابقة حيث كان الجو البيتى والمحيط العائلى والوسط الاجتماعى تسوده روح الطاعة للكبير والعطف على الصغير والتمسك الشديد بالتقاليد الدينية الكريمة التى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وما كانت توجد هذه المقاهى والمسارح ودور السينما وساحات الانس والطرب التى غمرت الغرب ففاضت علينا بسيئاتها الكثيرة وحسناتها القليلة فالبيت ويالالاسف اصبح فى يومنا هذا لا يؤمه الاب والابن وفى كثير من الاحيان البنت والام كما كان يؤمه اصحابه هؤلاء فى الاجيال الماضية لتزايد نطاق العمل والاشغال من جهة ولتوافر اماكن اللهو والتسلية خارج البيت من جهة اخرى فالشخص الذى كان يقضى فى بيته كل ليلة وشطرا كبيرا من نهاره اصبح فى يومنا هذا لا يقضى فيه سوى الليل فى بعض الاحيان بل جزء من هذا الليل ولذلك اصبح تأثير البيت التربوى فى الطفل والشاب قليلا جدا بالنسبة الى تأثيره السابق كما ان المحيط خارج البيت الذى كان الطفل او الشاب لا يتلقى منه الا ما يتماشى وروح الدين الحنيف الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر اصبح فى يومنا هذا لا يتلقى منه يا للاسف الا ما يتنافى فى اكثر ظروفه مع هذه الاهداف

(*) حديث ادلى به الى جريدة الاستقلال .

الشريفة فوجب علينا والحالة هذه ان نهيء الجو الصالح لتنمية اخلاق الرجولة الفاضلة الى جانب جو تلقين العلوم والفنون وهذا هو صورة طبق الاصل لما سارت عليه الامم الناهضة فى عصرنا هذا سواء الغربية منها او الشرقية وهذه الغاية الشريفة التى دفعت وزارة المعارف الى سن نظام الفتوة الذى جاء فى مادته الاولى « تعويد الفتيان على خشونة العيش وتحمل المشاق والمفاداة وبث الروح العسكرية وصفات الرجولة والفروسية وما يتبعها من خصال حب النظام والطاعة وذلك بواسطة التدريب العسكرى على اختلاف انواعه » فهذا النظام هو الذى سيخلق جوا عسكريا يسود جميع مدارسنا فى الوقت الحاضر وعدد تلامذتها نيف ومائة الف طالب وعدد اساتذتها نيف واربعة آلاف مدرس والتى يبلغ عددها نيف وثمانمائة مدرسة فهذا الجو العسكرى بلباسه الخشن المنسق الموحد وبنظامه الصارم القوى وبشارات رتبه التى تجعل الصغير يحيى الكبير ويتأدب امامه ، ويوجز الكلام فى حضرته . والذى يمرنه على تلقى الاوامر وتنفيذها بدون مناقشة ولغط واعتراض ويجعله يتعود ويتمرن على اطاعة الله ورسوله واولى الامر ولو ادت هذه الطاعة الى تضحية حياته لخدمة امته وبلاده والذى سيحبب اليه العيش تحت الخيم وفوق التراب وداخل الخنادق وأكل الطعام الخشن والتعلق بامجاد تاريخه والهيام بحب امته واوطانه وغيرها من الصفات الفاضلة النبيلة التى تجعل منه رجلا فارسا كرجال امتنا فى ادوار تاريخنا المجيد الذى كنا فيه قدوة للعالم فى المزايا العالية والفضائل الكريمة وانى مطمئن الى ان تنفيذ هذا النظام بدقة وحرص وايمان سيمكن امتنا ومجتمعنا من الارتفاع والسمو من مستواه الحالى الذى يتخلله كثير من الضعف النفسى والتذبذب الروحى والتردد الاخلاقى الى مستوى اعلى يسوده ضبط النفس وصلابة الاخلاق وروح العزم والاقدام .

فكل طالب من المائة الف طالب الذين ذكرنا عددهم له تماس مع ما لا يقل عن عشرة اشخاص فى المجتمع من أب وأم واقارب واصدقاء الى آخره . فعدوى الروح العسكرية المقدسة هذه وعدوى النظام والاخلاق الفاضلة ستنتشر عندئذ الى ما لا يقل عن مليون نسمة من مجتمعنا العراقى وهو يبلغ خمس شعبنا العراقى . فوددت ان ابسط هذا الحديث لجريدة الاستقلال المحترمة لاساهم فى تنوير رأى امتى العزيزة

حول تشكيلات الفتوة التى صارت الاعين تشاهد مظاهرها فى انحاء البلاد كافة والتى ربما تساءل البعض عما تنطوى عليه هذه المظاهر وما تقصده من اهداف .

اما مدارس البنات عندنا فلن يطبق عليها نظام الفتوة بطبيعة الحال لان البنت فى جميع المجتمعات الناضجة نضجا صالحا لا تربى الا لتكون اما كريمة وربة بيت صالح . وهذا هو هدفنا فى تربية البنت وسوف توحد ازياء لباسهن مع معلماتهن لابعادهن عن لباس الترف والزينة والتأنق والتبرج حيث سيمنعن بذلك من لبس الجواريب الحريرية والالبسة الثمينة المخملة واستعمال المساحيق والاحذية ذات الكعوب العالية فيجعل الغنية منهن والفقيرة فى صعيد واحد من حيث اللباس والمظهر ويعودهن على التواضع وحب اداء الواجب والنظم واطاعة الله ورسوله واولى الامر وسنجلب لهن مدرسات فاضلات للرياضة البدنية من اشهر جامعات الغرب التى اشتهرت بتهذيب الفتاة وايجاد ام صالحة وربة بيت فاضلة منها وانى لا يخامرنى اى شك فى ان ابناء امتى كبيرهم وصغيرهم سيؤيدون بكل ما اوتوا من قوة خطة وزارة المعارف هذه وسيساعدونها من صميم القلب على تشجيع هذا المشروع الجليل ويكونون لها عونا فى الوصول الى هدفها المقدس . هذا الذى من دونه لا نستطيع ان نعوض عما بنته فينا امواج المدنية الغربية من ضعف ونقص فى كفاياتنا الاخلاقية والنفسية العالية التى فطر عليها آباؤنا واجدادنا .

• • • •

كيف يجب أن نكون (*)

أهداف النشء العراقي

———:o:———

غاية الحكومة العليا هي سعادة المجتمع . وهذه السعادة لا تشاد دعائمها الا على اتحاد الميول والاهداف واقامة اسس الود والمحبة المتقابلة بين طبقات المجتمع كافة .

فكل مجتمع عادة يتكون من أخ كبير واخوة صغار حوله . فبقدر ما يحتم الواجب على الاخ الكبير ان يشعر بعواطف الحب والحنان والرأفة نحو اخوته الصغار يحتم الواجب على اخوته الصغار ان يشعروا نحوه بعواطف الود والاخلاص والطاعة .

والمدارس على كافة انواعها من حكومية واهلية واجنبية انما هي حقول تربى في ساحاتها الميول والاهداف والغايات التي تنمو في قلوب الناشئة الذين يكونون قادة المجتمع في المستقبل . ولذلك وجب على الحكومة لتأمين غايتها العليا وهي سعادة المجتمع ان تشرف وتلاحظ ما ينثر في هذه المدارس من بذور فتشجع التي تنمي عواطف الاخاء والحب بينها بقدر ما يقضي عليها الواجب بالحيلولة دون اي غرس من شأنه ان يباعد بين طبقات المجتمع او يؤدي الى التصادم بين ما يعتنق من الافكار والاهداف ، وما يؤول الى التنابذ وعدم المودة .

اني مطمئن من ان كل واحد من جميع اخواني قادة المدارس الاجنبية والاهلية الذين اتشرف بمخاطبتهم في هذه الساعة لا يحمل بين جنبيه الا هذه البذور الشريفة الطيبة التي لا ينبت منها الا الاخاء والمودة والحب بين ابناء الوطن العزيز . فالعراق ليس سوى بقعة وجزء من الهلال الخصيب الذي كان ولا يزال مرسحا للامواج التي تدفقت عليه من الجزيرة العربية منذ فجر التاريخ ومن قبل ان يخلق الانبياء ، مرسحا لعبت فوقه هذه الامواج ادوارها التاريخية التي اثمرت للانسانية كل خير وسعادة شأنه شأن سائر بقاع الهلال الخصيب في الشمال والغرب وشمال افريقيا حيث كانت كلها ولا زالت مرسحا لقيام الموجات السامية باداء ادوارها التاريخية

(*) خطاب القاه الدكتور سامي شوكة مدير المعارف العام على مديري واساتذة المدارس الاهلية والاجنبية في بغداد في ٣١ آذار سنة ١٩٣٩ .

حامى الفتوة بين فتيان دار المعلمين الابتدائية سنة ١٩٣٩

الشريفة وتربة لاظهار ما ينطوى عليه الدماغ السامى والعربى من مواهب ومزايا لا تستهدف الا الخير والسعادة للانسان .

فتاريخنا المجيد اهملنا فيه حتى الآن نقطة حيوية جدا وهى جعلنا اياه يبتدىء منذ ظهور صاحب الرسالة وهى مدة اقل من اربعة عشر عصرا . بينما تاريخ امتنا السامية العربية يمتد ويتغلغل صاعدا الى آلاف السنين الى يوم كانت فيه اقوام اوربة تعيش فى الغابات وفوق المستنقعات وبين كهوف الجبال وثنايا صخورها حين كان اجدادنا يؤسسون المصارف وينحتون التماثيل ويضعون الشرائع والقوانين ويبتكرون اسس علم الطب والهندسة والفلك والحروف الابجدية والارقام الحسابية ففى سلة حمورابى الموجودة فى متحف « اللوفر » نرى القانون الاساسى الذى وضعه احد اجدادنا العظام حمورابى وتنص مادة منه على القصاص الشرعى العين بالعين والسن بالسن وذلك قبل ان تنزل التوراة والانجيل والقرآن وكذلك نجد عندما نتصفح تواريخ الامبراطوريات السامية التى تكونت فى الهلال الخصيب من كلدانية وآشورية وافريقية وفرعونية وقرطاجنية كل ما يرفع رأسنا عاليا ويجعلنا نؤمن بان اسس مدنية العالم فى يومنا هذا لم تشد الا على القواعد التى ابتكرها اجدادنا فكل هذه الامبراطوريات ودولها هى ملكنا وهى منا والينا ومن حقنا ان نفاخر بها ونعتز بمآثرها كما ان من حقنا ان نحب ونفاخر بامجاد نبوخذنصر وحمورابى وسرجون ورعمسيس وتوت عنخ آمون كما نباهى ونعتز بعبدالرحمن الداخل وعبدالملك بن مروان وهارون الرشيد والمأمون .

فهذه الحقيقة التاريخية التى كانت مهملة وغير ملتفت اليها ينبغى ان نحييها ونقيم لها ما تستحق من التماثيل المقدسة التى تجعل الناشئة تعتز بها وتفاخر لانها مفاخر اجدادها التى تحدرت هى من انسالهم .

الدين نظام اجتماعى لا سعادة للمجتمع من دونه والمجتمع او الشخص الذى لا دين له لا اخلاق له والذى لا اخلاق له لا كرامة له ولا ثقة به فالشعب او الشخص الذى لا يخاف الله لا يتردد فى ارتكاب كل موبقة وكل رذيلة وشخص لا يتحاشى ارتكاب الموبقات والرذائل لا ينتج منه سوى الشر .

فالاديان السماوية كلها مجمعة على ان رأس الحكمة مخافة الله . كما انها مجمعة على بث الخير ونشر السعادة على جميع خلق الله . ولا سعادة لمجتمع كما قلنا الا

بوحدة ميول افراد ذلك المجتمع .

فمن هذه الناحية نجد الاديان السماوية نفسها تأمرنا ببث مبادىء الحب والتوحيد في المجتمع لتأمين سعادته . ولو تصفحنا تاريخ المجتمعات سواء أكانت غربية ام شرقية وامعنا في دراسة اسباب ما حل بها من نكبات وآلام وفواجع داخلية لا نجدها متأتية الا من اصطدام غايات واهداف الاخوة الصغار مع الاخ الكبير .

ان افساح المجال لغرس مبادىء متنافرة ومتعاكسة بين كتلات المجتمع وان رأيناها تعيش مدة فنتيجتها لا تكون سوى الاصطدام فمن يقدم على بث مبادىء من هذا النوع وان سمح له الدهر بعدم تحمل نتائج فواجع هذا الاصطدام فلا بد من ان يستهدف ابناء او احفاد جيله لنتائج جنايته هذه . فاذا كانت الاديان السماوية والشرائع الدنيوية تنظر الى من يجني على فرد بنظر المجرم الجاني فكيف بالذي يزرع بذورا تؤدي الى القضاء على كتل بشرية بكاملها . فذلك جرم وجناية ما فوقهما جرم وجناية .

اننا نقول ونباهي بكل فخر ان تاريخ امتنا العربية لم تكن فيه اية صحيفة يندى لها الجبين من حيث الاعتداء على الغير او الرغبة في الشر او ايقاع الاذى بالناس . فالعربي يحب غير العربي بقدر حبه للعرب انفسهم على ان يحبه هذا الغير ايضا . واقول لكم جهارا ان كل فرد يعيش بيننا ويتكلم لغتنا ولا يحمل في قلبه عداء لنا فهو منا نحبه كما نحب انفسنا . فلما فتح خالد بن الوليد وابو عبيدة الجراح دمشق واكتسحت الجيوش العربية سورية ودخلت مدنها جاء ملك العرب عمر بن الخطاب الى الشام ولما قصد يوما الجامع لاداء صلاة الجمعة رأى شيخا طاعنا في السن واقفا على بابه مادا ذراعه يستجدي المصلين وهو يرتعش من البرد ومن ضعف الشيخوخة فعطف عمر بن الخطاب عليه وسأل عن اسمه فقال له انا مسيحي فبكى عمر بن الخطاب والتفت نحو حاشيته من القواد والامراء وقال لهم ، وصوته يتهدج : جبينا منه الجزية وهو قوي ونتركه يجوع ويستجدي بعد ان حنت الشيخوخة ظهره وافقدته القوى التي كانت توفر له معين الحياة ، فاصدر امره الملكي باعطاء كافة العاجزين من رعاياه غير المسلمين مخصصات ورواتب تسد حاجتهم وتؤمن لهم العيش برفاه . فعمر بن الخطاب لم يبك خوفا من احد ولم يصدر امره الملكي هذا خشية ورهبة من أحد وهو الامبراطور الذي كان يحكم بلادا لا تقل نفوسها عن

الثلاثمائة مليون وتشغل بقاعا من الارض لا تقل عن نصفها انما بكى واصدر امره هذا لما فطر عليه من نبل فى الاحساس وكرم فى النفس لا يستطيع معهما ان يرى شخصا يتألم من الجوع او شيخا يرتعش لا يقدر على ايجاد قوته اليومى ، لانحطاط قواه مهما كان دينه وعنصريته .

فنفسية عمر بن الخطاب هذه هى مثال لما تنطوى عليه نفس الامة العربية جمعاء فهى لا يغمرها غير شعور النبل وعواطف الكرامة وحب الخير للناس كافة ، وتتألم لألم غيرها كما تتألم لالمها هى نفسها .

وهذه العواطف كما نجدها بارزة ماثلة فى جميع ادوارنا التاريخية نجدها ماثلة فى كيان نفسيتنا فى القرن العشرين هذا فمجتمعنا العراقى العربى فى يومنا هذا لا يختلف شعورا من حيث النبل وسمو الخلق عما كان يتحسسه عمر بن الخطاب نحو ذلك الشيخ البائس ، فالذى يجبنا نحبه اكثر مما يحبنا ولا نستطيع ان نصبر على حسنة تسدى من غيرنا الينا ما لم نقابلها بحسنات مضاعفة ونبقى متألمين حتى نردها مضاعفة .

فالاديان السماوية نقدسها كلها وهذا شعارنا ولا نسمح بمس مقدساتها اما المبادىء الدنيوية فلا نعتنق منها سوى المبدأ القومى الذى من دونه لا تتكون الامم ولا تشاد صروح الدول وهناك مبادىء وشرائع دنيوية اخرى اتصفت بالوان الهدم والتخريب وانكار الاديان السماوية والالحاد معاذ الله فهذه مبادىء لسنا فقط لا نسمح بتسربها فى المجتمع وعلى الاخص فى ساحات المدارس ومواطن التثقيف المقدسة بل نحرم حتى من ان يمس طرف من ظلها هذه الاماكن الطاهرة الشريفة .

واذا كانت الدروس والكتب المدرسية كلها وسائط لتكوين التفكير وتوجيه الاذهان فكتب التاريخ تحتل المكانة الاولى فى قوة التوجيه والتثقيف واهم من هذا وذاك ما تنطوى عليه نفسية المدرس . فنفسية المدرس وما تحمل بين جوانحها من مقاصد ونيات هى بيت القصيد فى موضوعنا . انى مطمئن من ان كلا من حضراتكم لا يحمل بين جنبيه سوى المقاصد والآمال التى تسير جنبا الى جنب مع مقاصد الاخ الاكبر فى العراق .

فعز الاخوة الصغار هو فى عز اخيهم الكبير كما ان عز الاخ الكبير هو فى عز البلدان العربية كافة فان اصاب البلدان العربية شر لا سمح الله اصاب الاخ الكبير

ذلك الشر واذا اصابه هذا الشر يصيب اخوته الصغار من دون ريب .

فترون من ذلك ان المصالح موحدة والمنافع مشتركة فعلينا ان نقوى هذه المصالح ونزيد فى متانة هذه المنافع لتوحيد الاهداف والميول والعقائد .

انى سأزور مدارسكم وسأتشرف بمصافحة كل واحد منكم كأخ حقيقى كما انى مستعد لمقابلة وتلبية طلبات كل واحد منكم على ان تستهدف تحقيق هذه الآمال والغايات المقدسة . فما فائدة تدريس تاريخ دول واقوام لا تربطنا بها اية رابطة او مصلحة وتبعد عنا مئات بل آلاف الاميال ، هذه اهدافنا معلومة فمن لم يؤمن بها فليس منا .

فخطة ثقافية كهذه لا تثمر سوى تكوين ميل وعاطفة فى النشء نحو تلك الامة التى يدرس تاريخها بتفصيل زائد وايجاد ميول وعواطف فى قلوب الناشئة نحو امم واقوام ودول اجنبية لا علاقة لنا بها يؤدى بنا الى ابتعاد هذه الكتلة من الناشئة عن ميول واهداف ومقدسات المجموع . وهذا هو التنافر بعينه وهذا هو الانشقاق بذاته . لذلك ينبغى ان لا يدرس من تاريخ الامم الاجنبية الا القدر الذى يحتاج اليه تثقيف النشء وتزويده بالاطلاع الكافى على سير شؤون الامم الاجنبية .

ولا ينبغى ان يدرس تاريخ بتفاصيله وبشكل جذاب ومحبب سوى تاريخ الامة العربية وحين اقول تاريخ الامة العربية اقصد تاريخ الموجات السامية كلها .

فأناشدكم بأسم الاديان السماوية التى تأمر بالخير وتنهى عن المنكر فالتى نؤمن بها جميعا وانأشدكم بأسم المصلحة العامة والمنفعة المشتركة ان نضع يدا بيد وان نسير متكاتفين ومتحدين روحا ونفسا نحو هدفنا الاسمى وهو سعادة مجتمعنا وتمتعه بالحب والمودة والاخاء الى الابد .

والسلام عليكم .

• • • •

اساتذة الثانوية المركزية بلباس الفتوة فى بناية الثانوية المركزية يتوسطهم
حامى الفتوة الدكتور سامى شوكة ونائبه المقدم السيد محمود فاضل

اهداف مدارسنا واسس نهضتنا(*)

اذا استثنينا بريطانيا وامريكا اللتين يملى شعباهما كل على حكومته ما يريد ، وتذعن حكومته لارادته نعم اذا استثنينا ذلك الذى اصطلح العالم على تسمية ظاهرته هذه بالديمقراطية نرى سائر شعوب العالم تتفاوت درجة اهتمامها بهذه الارادة واليد القابضة على مقدرات هذه الشعوب باستطاعتها ان تعمل العجب سواء كان فى الخير او الشر . ولكل امة ميزات نفسية خاصة تطغى على سائر المشاعر والصفات التى يشترك فيها البشر كله تقريبا فالالمان مثلا يتصفون بروح الجندية ، والطاعة وحب النظام ، ولذلك اذا اتى اصلاحهم عن طريق الجندية وبث الروح العسكرية وجد هذا الاصلاح تربة خصبة للنمو والازدهار وكذلك قل عن الاتراك اما الافرنسيون وبعض الامم اللاتينية فمغرمون بالفنون والشعر ويقدسون المرأة فاذا اتت نهضتهم عن طريق الادب والشعر والمجتمع النسائى فانها تلقى معدة صالحة فى المجتمع لهضم هذا الغذاء الروحى بسهولة متناهية والهندى والفارسى متدينان شديدا التعصب ولذلك اذا ارادا نهضته باسهل الطرق وجب اصلاح رجال دينهما وتشكيلاتهما الدينية قبل كل شىء اما الانكليزى فالصفة البارزة فيه هى الاخلاق الفاضلة والكرامة الشخصية ، ولذلك وجب انهاضه من هذه الناحية واليهودى مغرم بالذهب فلا يحيا بدونه واليابانى فطر على تقديس القومية المتأججة والميقادو والتضحية بحياته فى

قالت جريدة الاستقلال :

(*) ضمنى وسعادة الدكتور سامى شوكة مدير المعارف العام مجلس ، واذا كان الدكتور سامى فى مجلس فيغلب ان يكون الحديث عن القومية العربية ، وآمالها ، وتطورها ، وكيفية نشوئها ، ويتملك الموضوع مشاعر الدكتور فيتدفق فى حديثه تدفق المؤمن بمبدئه الواثق بقوته حتى لا يسعك الا ان تحس انك امام رجل من رجال المثل العليا او ان تطلق عليه اللقب الذى اطلقه عليه جلالة المرحوم الملك فيصل وهو « الايدى يالست » . انتهزت فرصة جلوسى على مقربة منه وسألته عن الاسس التى يجب ان تقوم عليها تشكيلات مدارسنا والهدف الذى يجب ان تستهدفه فحدثنى طويلا استطعت ان الخصه بما يلى :

سبيلهما فاصلاحه يكون بتغذية هذه الروح وتوجيهها الناحية الصالحة . اما العربى فابرز ميزة فيه تمسكه واعتزازه بفضائل عشيرته والتفاخر بكرامتها وبمناقب آبائه واجداده اى انه من هذه الناحية له بعض الشبه بالنفسية الانكليزية ولذلك لا يمكن ان تأتى نهضته الا عن طريق تعزيز الفضائل الاخلاقية فيه بالدرجة الاولى ورسم مثل عليا له على هذا الاساس وتوجيهه نحوها اذ ان نفسيته لا تشبعها نهضة عسكرية ، او نهضة اقتصادية او علمية ، او صحية او غيرها من النهضات . وتستمر روحه ونفسه تائهتين مضطربتين ما لم تربا الدعائم الاخلاقية الفاضلة هى التى تسود مجتمعه ولها الكلمة العليا على كل ما سواها من الافكار والمبادىء والاسس وعندها فقط يندفع كالتيار الجارف ، وكلهيب النار يؤيد كل نهضة من النهضات الادبية والمادية بعد ان يطمئن من نهضته الاخلاقية المخلصة فيستولى على نصف الكرة الارضية خلال نصف قرن فقط فينشر العدل والرحمة والفضيلة كما فعل فى القرن السابع الميلادى حين قاد زمام العالم محمد وابو بكر، وعمر وعثمان وعلى الذين يعتبرون بحق امثلة عليا للاخلاق العالية ولذلك ينبغى ان تقوم تشكيلات مدارسنا ونهضتها على هذا الاساس وان تستهدف هذا الهدف المقدس ، ومن دون ذلك سوف نظل نجرب ونجرب الى ما شاء الله .... الى ان يعيد التاريخ نفسه ولابد من هذه العودة ولاشك ....

العراق يربي الناشئة العربية(*)

على اسمى القواعد واصحها

—:o:—

نشرت جريدة حكومة العراق نظاما صدر فى ١٥ مايس الماضى عرف (بنظام الفتوة والكشافة) وقد جاء فى تعريف الغاية المرجوة من هذا النظام انها تعويد الفتيان على خشونة العيش وتحمل المشاق والمفاداة وبث الروح العسكرية وصفات الرجولة والفروسية وما يتبعها من خصال .

وابلغت وزارة المعارف العراقية مديرى مناطق المعارف فى الالوية انها قررت تعليق الواح يكتب عليها (اخشوشنوا فان الترف يزيل النعم) فى جميع المدارس على اختلاف درجاتها من ثانوية ومتوسطة وابتدائية ودور المعلمين والمعلمات ومدرسة الصناعة ويكون محل اللوحة فى مدخل المدرسة (وقد روى المقطم ذلك فى حينه) .

وقد طلبت وزارة المعارف الى مديرى المدارس عمل احتفال مدرسى عند تعليق اللوحة بان يجمعوا اساتذة المدرسة وتلامذتها ويلقى المدير ومن يرغب من المدرسين وعدد مناسب من التلاميذ محاضرات فى شرح ما تنطوى عليه الحكمة السامية فى الحديث الشريف وما يستهدفه من اصلاح للنفس والخلق والصفات فى الشخص خاصة والمجتمع عامة .

وتقول وزارة المعارف فى كتابها الى مديرى مناطق المعارف انها على استعداد لقبول هذه المحاضرات كتابة ونشرها فى الصحف المحلية فى العاصمة وطلبت الى مديرية الصحة العامة مساعدتها فى تنفيذ هذا العمل فى مدارسها الصحية .

وعلى هذا استعاض طلبة الفتوة والكشافة والاحداث والاشبال بملابس الخاكى الخشنة عن ملابسهم الناعمة التى كانوا يلبسونها قبل صدور تعليمات وزارة المعارف واصبح هؤلاء الطلبة داخل المدرسة وخارجها لا يرضون عن ملابس الفتوة والجندية بديلا .

(*) نشرت جريدة المقطم المصرية هذا المقال بتوقيع الفاروقى .

ولابد لى قبل شرح هذا الموضوع الخطير من ابداء الاعجاب والاحترام وتقديم أجل آيات الثناء لوزارة المعارف العراقية على هذه الخطوة العملية لاعداد الناشئة العربية اعدادا يطابق اسمى المبادىء التى رمى اليها الاسلام وحض عليها الرسول (ص) واصحابه وجميع الذين هيأوا الامة العربية لذلك الانقلاب الذى غير وجه الدنيا وحول سيرة التاريخ .

ولا ريب فى ان القراء يعلمون ان تاريخ النهضة الاسلامية الكبرى مملوء بامثال هذه المفاخر فقد دخل رسل الروم على عمر رضى الله عنه فوجدوه نائما والشمس تنفحه وقد توسد الارض فقالوا ان امة هذا ملكها لا تغلب .

ويذكر كثيرون من المعاصرين ولاسيما ابطال العراق ان زميلهم اللواء عزيز على باشا عرف عنه وهو تلميذ فى مدرسة اركان الحرب فى الاستانة انه كان ينام على سرير من الحديد مجرد من اى فراش كان .

وناهيك ببرد فروق وقرها فلما سئل عزيز فى هذا اجابهم بما يقصد اليه هذا الحديث الشريف وذكر لهم ان الجندى قد يتعرض فى حياته الى الجلوس والنوم على الارض وهى مغطاة بالجليد او وهى واحة رملية يلسع اديمها الاجساد .

وقد روى لى عزيز باشا انه لما كان يقود بعض الكتائب لقتال العصاة من البلغاريين اضطر هو وجنوده الى ان يفترشوا مناطق غطاها الجليد وكان الجنود العثمانيون من ابناء الروملى والاناضول وبعض المناطق الباردة يقاتلون شعبا فى اشد المناطق اليمانية حرارة ويستطيعون الصبر والمقاومة وذلك بفعل الخشونة .

ولما جاءت الحرب العظمى ورأى الناس كيف عاد الجنود فى الخنادق والماء ممزوج بالوحل والثلج يغمرهم عرفوا ان الخشونة اساس من اسس الحياة لا يمكن للامم ان تستغنى عنه والا ضربها الانقراض .

ويقول علماء الاجتماع ان الاوربيين عمدوا فى مستهل هذا القرن الى تنظيم الالعاب الرياضية واعتبارها اساسا صالحا فى جميع مدارس الذكور والاناث حتى يستطيعوا ان يحفظوا اجسام الام سليمة لا يعتورها الفساد فتضمحل ومن ثم تمرض الاخلاق فيها كما كان للفرس والرومان والعرب .

ومن اجل هذا ارادت وزارة المعارف العراقية بهذه الخطوة والاحتفال بها وتشجيع ما يقال فيها بنشره فى الصحف ان توجه انظار الشباب والامة الى خطورة هذا الضرب من الحياة الجديدة .

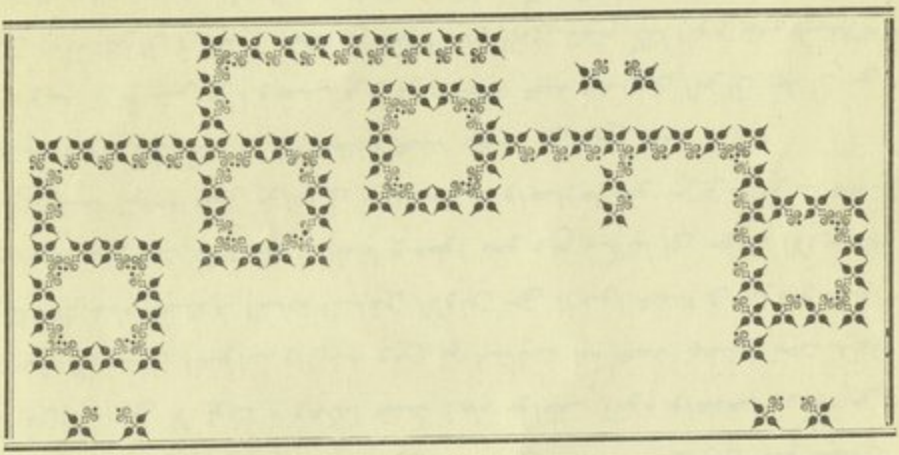

فيصل العظيم (١)

—:o:—

عندما لبى النبى محمد صلى الله عليه وسلم نداء ربه وصعدت روحه المقدسة الى الملأ الاعلى واضطرب المسلمون من هول الصدمة وكادت تقع بينهم الفتنة خرج ابو بكر من دار النبى بعد ان قبل جبينه المقدس وقال للقوم الذين كانت تموج جموعهم بالذهول والاضطراب : « ان كنتم تعبدون محمدا فان محمدا قد مات وان كنتم تعبدون الله فان الله حى لا يموت » وهكذا ضبط زمام عواطف القوم واعادهم ورفاقه من الزعماء الى سبيل الصواب والرشد ومن ثم استأنفت امة محمد نهضتها تحت قيادة اولئك الزعماء الصناديد السادة السابقين الاولين حتى ارضوا محمدا فى قبره وكسبوا رضاء الله ـ وحيث دانت لهم ـ الدنيا وجعلوا نحو ربع سكانها اى حوالى الاربعمائة مليون نسمة تتوجه خمس مرات فى يومها بقلوبها وابصارها نحو جزيرة العرب عابدة خاشعة ! وما ذاك كله الا لان خلفاء محمد ساروا على نهج محمد .

وبعد ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن يموت حفيد محمد فيصل فى العراق بعد ان بنى كيان دولة العراق فى القرن العشرين هذا الكيان الذى نتمتع كلنا اليوم بنعيم استقلاله وخيراته والذى ينظر اليه العرب المخلصون اليوم كما كان ينظر الالمان الى بروسيا والطليان الى ساردنيا فى اواسط القرن التاسع عشر فترك لنا رضوان الله عليه كيانا ماديا وتعاليم وخططا روحية ومعنوية ونسأله تعالى ان يمكننا من السير على نهجه فى هذه الخطط والتعاليم فنتمم ما شاد من بناء لترضى عنا روحه الطاهرة فى قبرها كما رضيت روح محمد عن افعال زعماء امته من بعده .

دعانى فى يوم قائظ من صيف سنة ١٩٣٢ فوجدته يخطو رضوان الله عليه فى حديقة البلاط ويده الى ظهره تداعب اصابعها خرز سبحة وحاجباه مقطبان يشع من تحتهما ذلك النور المهيب والشعاع الاخاذ الذى يعرف قوته كل من اسعده الحظ وتشرف بلقياه ومجالسته ! فاقبل نحوى ومن عادته ان يسحب يده المصافحة عندما يهم زائره بالركوع للثم تلك اليد الطاهرة ! وهكذا سحب تلك اليد النحيلة فى

(١) القيت فى دار الاذاعة لمناسبة ذكرى المغفور له جلالة الملك فيصل الاول .

ملمسها القوية فى عزمها وروحها وقدسيتها عندما ركعت كعادتى للثمها ثم ابتسم وقال لى : هيا يا سامى قل لى كيف يكون حال العراق اذا ما حققت تسيير قطاراته وحافلاته ، وتنوير معظم مدنه وقراه ، وتدوير مضخاته من دون ان تحتاج الى وقود ! والتفت ثم نظر الى الشمال ، فقلت يا سيدى من يستطيع بناء كيان دولة كالعراق يسهل عليه استغلال شلالاتنا فى الشمال وقوة جريان انهرنا لتأمين القوى الكهربائية التى تحرك تلك القطارات ، وتدوير تلك الدواليب ، وتضيء ما نحتاج اليه من مصابيح ! قال : وليس ذلك فقط ، وانما بنفقات قليلة سنجعل صحارى العراق القريبة مراعى تكفى لتربية ملايين المواشى يزيد دخلها على المحصولات الزراعيـة كافة . ففتحت عينى مندهشا ! فقال هذه الليلة بقيت الى ما بعد الساعة الثانيـة صباحا ادرس تقريرين لاخصائيين درسا هذين المشروعين وبرهنا فيهما على امكان تنفيذهما بجهود ونفقات نحن الآن مستعدون للقيام بها ومتوفرة لدينا من دون عناء ومشقة وكان يتكلم وكأنه هالة من نور يشعر المرء امامها بقوة قدسية تملك عليه جميع مشاعره وكان قلبى يخفق عندهـا بشعور كان يتملكنى غالبـا عندمـا اكون فى حضرته ويمكننى ان اعبر عنه واصفه بانى كنت اتمنى من صميم فؤادى ان امنحه ما استطيع من عمرى وحياتى وانا فرحان جذل ليمد الله فى عمره فيسعد امته هذه التى يسهر لاجلها الليالى الطوال دارسا منقبا عما يرفعها ويعزها ويسعدها ولذلك كثيرا ما كانت تتوارد الى خاطرى كلمات (فداك امى وابى) و (روحى فداك) التى كان يخاطب العرب بها النبى محمدا وخلفاءه من بعده وكنت اجزم واقنع بسبب ما كان يستولى على من شعور فى حضرة جلالته انها لم تكن ابدا من كلمات المجاملة والتزلف وانما كانت تصدر عن شعور صادق حقيقى ! فقد كانوا يشعرون نحو امرائهم وزعمائهم كمـا كنت انا اشعر وبنفس الاحساس امام فيصل ولكن خجلى وعدم وجود هذه العادة فى عصرنا كانا يحولان دون ان اقول له (روحى فداك) بينما كانت كل جوارحى تنطق بها دون لسانى ، وكان هو يشعر بمـا كان يجيش بخاطـرى ويقـول لى (انت يا سـامى ايديباليست بعواطفك) .

وفى سنة ١٩٣٣ عندما جمعت مديرى المدارس ومدرسيها وخطبت فيهم معلنا ادخال الدروس العسكرية فى مناهج المعارف وتطرقت الى معنى الغـرور القومى ولزوم صناعة الموت وضربت الامثال عن حرمان بعض البلاد من الاستقلال لمجرد

عدم اتقانها صناعة الموت ومن جملتها سورية على الرغم من قطعها اشواطا كبيرة فى ساحات المدنية التى لا تقل عن بلاد اوروبة الجنوبية قلت لهم فلا تزالوان ترونها « العوبة بيد باريس الجبارة » فاحتج وزير فرنسة المفوض فى حينه لدى البلاط والوزارة على كلمتى هذه معتبرا اياها ماسة بالعلاقة الودية القائمة بين الدولتين المتحابتين فدعانى رضوان الله عليه الى البلاط وسلمنى صورة الاحتجاج ولما رأى امتعاضى حين قرأته ربت على كتفى وقال : لا تهتم يا سامى فامض فى طريقك فى تلقين الناشئة روح العزة القومية وحب صناعة الموت وما من احد يستطيع ان يحول دون تطبيق مناهجنا على هذه الناشئة فانا وراك اذهب بامان . !..

وفى سنة ١٩٣٠ امر ان اكون فى ركابه لقضاء عطلة العيد فى قصره فى مزارعه فى خانقين وكان معالى وزير تركيا المفوض طاهر لطفى بك وعائلته الكريمة من جملة المدعوين ففى عصر احد الايام قال لنا ونحن جلوس فى حضرة جلالته نشرب الشاى فى شرفة القصر التى تطل على سهول مزارعه والجبال التى تحيط بها : هل لكم ان ترافقونى لزيارة آبار خانقين فقلنا سمعا وطاعة ! فحضرت السيارات ورغب جلالته ان يقود هذه السيارة بنفسه ودعا السيدة عقيلة طاهر لطفى الى جانبه فى المقعد الامامى وجلسنا انا والوزير طاهر لطفى بك فى المقعد الخلفى وانطلق بسرعة البرق واظن ان السرعة كانت لا تقل عن ٩٠ كيلومترا فى الساعة وعندما دخلنا مضائق الجبال وصار يتسلق طرقها صعودا ونزولا تلك الطرق التى تنحدر من جانبها الوديان الى عمق مئات الامتار وهو لم يخفف من سرعتها صرنا والوزير نتسارق النظر مع بعضنا ولسان حالنا يدعو الله عز وجل ان ينهى الرحلة بسلام وبينما نحن فى هذه الحالة بين التجلد والاستسلام اذا بجلالته يلتفت ضاحكا الى الوزيرة فى يمينه قائلا بالتركية : انا اعرف هذا الطريق جيدا فهل تزعجك السرعة ! اتريدين ان اخفف منها !

فضحكت الوزيرة والتفتت اليه وقالت ان ما يسر جلالتك يا سيدنا يسرنا ولا ريب ثم التفت نحونا وقال ضاحكا : لا حاجة لى الى اخذ رضاكما بعد ان اخذت موافقة الوزيرة فتغامزنا انا والوزير وتركنا امرنا الى الله ... وانطلق يشق طبقات الريح كأنه السهم المنطلق .

وعند عودتنا اختليت بصفوة باشا العواء وطلبت اليه ان يسترحم من جلالته عدم تعريض ذاته الملكية لاخطار سرعة كهذه لا سمح الله ففرك يديه وشهق بحسرة وألم

وقال : ومن يجرأ على ذلك يا ولدى ؟ ومن يستطع ذلك ؟ انك ترانى وقد ابيض شعرى فى خدمته ولا يمر يوم من دون ان اعرض على اعتابه هذه الاسترحامات التى تطلبها منى ولا يكون جوابه الى غير الدعابة والابتسام واذا بجلالته يفاجئنا بحضوره ويقول : ان لم تعجبكم سرعة السيارة فانى سأعود فى الطائرة واترك لكم السيارة ترجعون بها كيفما تشاؤون هدؤا وتأمينا ... فاسقط فى ايدينا وصرنا نتبادل النظرات انا والباشا قال جلالته ذلك ، وخرج الى الشرفة فقال الباشا : ارأيت يا ولدى وسوف نرى انه لا يكتفى بركب الطائرة بل يقوم بالعاب فيها فى الهواء ....

وقد صدق الباشا فى حدسه فركب جلالته الطائرة صباح يوم العودة وظل يحوم فوق سماء القصر بضع دقائق والطائرة تقوم بانواع الالعاب الجوية ، حتى رأينا يده الكريمة تخرج من حافة الطائرة وتهز منديلا ابيض ومن ثم تتجه الى بغداد ....

هذا هو فيصل بعظمته ، وهذا هو بسهره وجده وحرصه على رفع شأن امته ، وهذا هو بجرأته ومخاطراته وهذا هو بتواضعه وديمقراطيته ، وهذا هو بخفة روحه وجلال قدره انى عندما ادخل غرف مخلفاته فى المتحف العراقى زائرا متبركا واشاهد خنجره الذهبى واوسمته وعباءته العربية ولباسه المدنى أقف خاشعا امامها واحدة فواحدة فترجع بى الذكرى الى تلك الايام السعيدة التى كانت فيها كل من هـــذه المخلفات تنتظر الساعة المباركـة التى يأتى دورهـا لتلمس جســده المبارك فتتشرف بارتدائه اياها .... يا الله ... فتنحدر دمعة سخينة من مقلتى فأخرج كسير القلب ملتاع الفؤاد ... رضوان الله عليك يا فيصل ورحمك الله فى جنات خلده وفردوسه السرمدى ...

* * *

٩ شعبان

:o:

رجعت بى الذكرى حين دعيت لالقاء كلمتى هذه الى ما قبل ربع قرن اى الى اوائل الحرب العامة حين كنا نتلقى الدروس فى كلية الطب فى الاستانة حين كان جو تلك العاصمة التى يسميها توفيق فكرت اكبر شعراء الاتراك فى اشعاره بعجوزة بيزانس الفاتنة يضطرم بالاندفاعات القومية للاقوام المختلفة التى كانت تكون الامبراطورية العثمانية وفى مقدمتها الترك والعرب وحين كانت غرف اندية ترك اوجاغى وقاعات المنتدى الادبى تعج بشباب الاتراك والعرب هذا يريد تكوين دولة تركية تؤسس دعائمها على القواعد القومية التركية نابذا اسس الخلافة العثمانية جاعلا الاقوام غير التركية امما مستعبدة لها وذاك يطالب بمنح بلاده الحكم الذاتى تحت عنوان اللامركزية ، او (المختارية) وجعل اللغة العربية اللغة الرسمية لبلاده بدلا من التركية وحين كان زعماء حزب الاتحاد والترقى ووزراؤه يطوفون على منتديات ترك اوجاغى والمدارس الثانوية والعالية ليل نهار ويغذون الشباب التركى بالروح القومية المتأججة التى اصبحت لا تتحمل رؤية غير التركى يشترك فى الحكم او يستوى واياه فى نظر القانون والحقوق العامة . وكان المجتمع حينذاك قد بدأ ينقسم الى شطرين شباب وشيوخ ، فالشباب قوى العاطفة والنزعة والاهداف والشيوخ محافظون على التقاليد الدينية وعنعنات الدولة العثمانية وكان الاصطدام عنيفا بين الجهتين الا ان النصر كان دائما حليف الشبان الذين كانت تتراجع امامهم صفوف الشيوخ الواهنة مدحورة منخذلة . وكان العرب موقنين من ان المستقبل للشباب وان الدولة العثمانية سائرة نحو اهداف قومية ستجعل غير الاتراك مستعبدين اذلاء للقوم التركى الحاكم ولذلك كانوا يطالبون باستمرار منحهم الحكم الذاتى ضمن الدولة العثمانية ، وكانوا يؤسسون الاندية والاحزاب السرية والعلنية ويصدرون المجلات والصحف وكلها تطالب بالحكم الذاتى بينما كان الباب العالى يسايرهم باللين حينا ويبطش بهم بالنفى والسجن والشنق والتشريد احيانا

(١) القيت فى دار الاذاعة .

اخرى حينئذ بدأت تردنا اخبار سارة عن الجزيرة العربية وعن تسرب واختمار الفكرة العربية فى رؤوس زعمائها وفى مقدمتهم شريف مكة الحسين بن على والامير عبدالعزيز السعود والامام يحيى وطالب باشا النقيب الخ ... وكنا نتلقف هـذه الاخبار التى كان اكثرها يأتى مبهما غامضا فى بعض القصاصات من الصحف وبعضها عبارة عن شائعات وهمسات : ان هناك بين هؤلاء الزعماء تشاورا ، وزيارات ، وعهودا واتفاقات ترمى كلها الى تكوين صف واحد من العرب يطالب الباب العالى بالحكم الذاتى ويدعم هـذا الطلب بالقوة ولدى الاقتضاء بقيام مسلح وبثورة وعصيان عام وكان كل واحد منا يهيء نفسه للالتحاق بالثورة العربية العامة انى اشتعلت وكنا نحصى الايام والساعات لانهاء دروسنا والسفر الى بلادنا للاشتراك فى تهيئة وسائل الدفاع عن اوطاننا لنيل الاستقلال الذاتى وجعل الدولة العثمانية تتكون من دولتين متحدتين ، عربية ، وتركية على غرار دولة النمسا والمجر وكنا نبتاع الكتب العربية وخاصة التأريخية منها وصرنا ندرس تأريخ امتنا العربية الذى كان تدريسه فى المدارس العثمانية ممنوعا ونلتهم محتوياتها التهاما فكنا نقرأ محمدا ، وابا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليا ، ومعاوية ، وخالدا بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وطارق بن زياد ، وعقبة بن نافع ، وقتيبة بن مسلم ، وعبدالرحمن الداخل ، والمأمون ، وهارون الرشيد وغيرهم من قادة وزعماء العرب زمن الراشدين ، والامويين ، والعباسيين ، والفاطميين والاندلسيين الى جانب دروسنا فى الطب ، وغير الطب ، كنا الى ذلك الحين لا نعرف شيئا عن التأريخ العربى اذ كانت كل معلوماتنا التأريخية تنحصر فى قدر ضئيل من التأريخ الاوربى الى جانبه معلومات واسعة عن تأريخ الدولة العثمانية والقوم التركى ومناقب سلاطينهم وقوادهم ولا نعرف عن تأريخنا العربى سوى ما كانت تحكيه لنا امهاتنا ومرباتنا ونحن اطفال فى حجورهن من قصص واحاديث ابى نؤآس وهارون الرشيد ، وجعفر البرمكى ، وكان محرما علينا قراءة التأريخ العربى فى المدارس وهكذا كلما امعنا فى دراسة تأريخنا العربى وجدنا آفاقا شاسعة طافحة كلها بالمجد والفخار يتضاءل الى جانبها تأريخ سائر الاقوام وصرنا نشعر بالعزة القومية تتسرب فى نفوسنا الغضة وقلوبنا الحساسة الطرية ، وصرنا كلما مر علينا يوم نزداد حماسة وايمانا بلزوم اعادة ذلك المجد العربى ، واستئناف العمل لانشائه من جديد ، وكنا نضع الخطط والتصاميم وكلها ترمى الى انهاء دروسنا بسرعة فى عاصمة الترك

والالتحاق باسرع ما يكون بالبلاد العربية لايقاد نيران الشعور القومى ونثر بذور الاستقلال والحرية فى تربتها المباركة وكانت اسماء عزيز على ورشيد الخوجة وسليم الجزائرى وسائر اسماء القائمين بالفكرة العربية من اعز واقدس الاسماء لدينا حيث كانوا يجمعوننا نحن شباب العرب ويلقون علينا دروسا فى الوطنية والقومية ولا تسل عن مقدار تعلقنا بهم وتقديسنا خططهم ونياتهم وبهذه الدرجة كنا نمقت اسماء جمال السفاح ، وانور ، وطلعت ـ وكان قد بلغ مقدار ما حفظناه من الاناشيد والابيات والاشعار الحماسية القومية العربية المئات فكنا نحفظ لامرىء القيس ولعنترة العبسى وسائر المعلقات والى جانبها لابراهيم اليازجى وسائر شعراء العرب القوميين المعاصرين وفى ليلة من ليالى ايلول ١٩١٤ دعيت انا والدكتور فائق شاكر رئيس صحة لواء الموصل الحالى الى دار الدكتور اسماعيل الصفار رئيس صحة لواء بغداد الحالى فى محلة بيل دكزمنى فى حيدر باشا فى الاستانة وكان هناك ممثلون عن حزب العهد فاقسمنا اليمين على المصحف الشريف والسيف امامه على بذل نفوسنا فى سبيل تحقيق مبادىء حزب العهد الرامية الى استقلال البلاد العربية وتكوين الامبراطورية العربية وعندما دخلت تركيا الحرب العامة اردنا ان نكون قريبين من الجزيرة العربية فالتحقنا بجيش سورية الذى كان قائده جمال السفاح ولما كان هذا منهمكا فى نصب المشانق فى عالية واصدار قرارات الاعدام على زعماء العرب كان جو الجزيرة يضطرم بالحماسة القومية والاعناق مشرئبة نحو الكعبة التى كان جاثما حولها الاسد الشيخ الوقور شريف مكة الحسين بن على . فكان عليه ان يختار احد امرين اما ان يكون مستعبدا هو وامته للباب العالى ومن ورائه حلفاؤه الطامعون بالمستعمرات وبالكنوز الاقتصادية فى بلادنا واما ان يقبل بما عرضته عليه دول الحلفاء من حلف يضمن استقلال بلاده ووحدتها فى وقت نبذ فيه شباب الاتحاد والترقى كل تمسك بالتقاليد الدينية وعنعنات الدولة العثمانية التى كانت العامل الوحيد فى جمع شتات القوميات المختلفة التى كانت تكون الامبراطورية العثمانية ، فحينئذ كان الامل بالوحدة العثمانية والجامعة الاسلامية ايضا قد زال بالخطط التى رسمها حزب الاتحاد والترقى والجمعيات القومية من ترك اوجاغى وغيرها . ولو كان الباب العالى اذ ذاك قد استطاع الا تغير سياسة السلاطين العثمانيين التقليدية تلك السياسة التى كانت تسير وفق مبادىء الجامعة الاسلامية ، ومقتضيات الخلافة ، وروح التسامح والتساهل مع القوميات

والعنصريات التى كانت تستند اليها روح السياسة العثمانية لتبدلت آنذاك وجهة الاحزاب السياسية العربية ايضا ولتغيرت خطط زعماء العرب ولما حالفوا الحلفاء وخاضوا غمار الحرب الى جانبهم ولكن هل كان فى امكان الباب العالى عدم تغيير سياسة الدولة العثمانية من الناحية الدينية والجامعة العثمانية الى السياسة القومية ودول العالم العصرية وخاصة اقوام اوروبا كلها وعلى الاطلاق قد تمذهبت بالمذهب القومى وسارت على اسسه نابذة وراءها سياسة الدين والمذهب فكل مؤرخ نزيه او عالم محقق خبير بشؤون التطورات العالمية عامة والعوامل التى تسير سياسة الدولة العثمانية خاصة فى تلك الظروف يحكم ولاشك من دون تردد على ان الباب العالى كان فوق مقدوره واعجز من ان يبقى ويثبت على سياسة السلاطين القديمة التقليدية التى اصبحت بالية ومضرب المثل بالتفسخ والانحلال ولابد له من توجيه دفة سياسة الدولة نحو الخطط القومية ، وهكذا كان ، ولكن الباب العالى ، اغفل نقطة جوهرية اساسية وهى انه كان عليه حينما قرر السير على الخطة القومية ان ينظر فى منح سائر القوميات غير التركية ايضاحقوقها العنصرية كى يستطيع بذلك من تأسيس حلف من القوميات العثمانية تتكون منه الدولة الجديدة ولكن الباب العالى كانت غلطته فى هذه النقطة عظيمة جدا فهو من جهة سمح للاتراك بالسير نحو خطط قومية صرفة بينما منع غير الاتراك من التمتع حتى من استعمال لسانهم القومى فى مدارسهم وفى دواوينهم الحكومية فالاختلاف ظهر من هذا الخطأ الذى لا يمكن ستره واغفاله فاذا كان الباب العالى لا يلام على اعتناقه القومية التركية مبدأ سياسيا للدولة فانه يلام على حرمانه سائر القوميات من اعتناق المذهب القومى فهو والحالة هذه قد احل للاتراك ما حرمه على غيرهم فى الوقت عينه وحاول خلال السنين القليلة التى سبقت الحرب العامة ان يخادع الاقوام غير التركية ويسير معها بسياسة المراوغة والاغفال والخداع ولكن هذه المراوغة لم تنطل على احد وثارت الاقوام غير التركية كلها تقريبا فى وجه الباب العالى وفى مقدمتها العرب فالذين يلومون العرب على محالفتهم الحلفاء فى الحرب العامة لا يستطيعون اقامة لومهم هذا على قواعد سياسية وعلمية ومنطقية صحيحة ولو جردوا نفوسهم من العواطف والنزعات ودرسوا ما كانت عليه الدولة العثمانية من تبلبل وتذبذب وانحلال لقدروا للعرب محالفتهم هذه ولرأوا الحق بجانبهم ساطعا وضاحا .

فالدولة العثمانية كانت صائرة الى الزوال والانقراض سوآء خرجت ظافرة من

الحرب العامة او منهزمة اذ لو خرجت ظافرة لوضعت المانيا يدها على سائر مرافقها الاقتصادية ولاستعمرت كل جزء غنى من بلادها اما البلاد العربية فكانت عرضة للاستعباد سوآء أكان ذلك من قبل الالمان ام الاتراك الظافرين اما اذا انتهت الحرب بانهزام الدولة العثمانية فتصبح عندها البلاد العربية وهى غير متحالفة مم احد مستعمرة للحلفاء الظافرين وهى امامهم فى موقف العدو المحارب وهكذا لم يبق من أمل امام الامة العربية سوى التحالف مع الحلفاء الذين اذا انتصروا فى الحرب تكون الامة العربية فى موقف الحليف المنتصر ايضا وويتمهد امامها الطريق للاستقلال وتأسيس الدولة العربية المنشودة فى الوقت الذى كانت كل الدلائل تشهد برجحان كفة الحلفاء وبانتصارهم فى النهاية واندحار الالمان والترك كما وقع فعلا ، ففى موقف كهذا يصبح عدم تحالف العرب مع الحلفاء معناه الموافقة على جعل البلاد العربية مستعمرة اما للالمان او للاتراك الظافرين او للانكليز والافرنسيين المنتصرين وكلا الامرين خيانة شنيعة ما وراءها خيانة للامة العربية وهكذا نجد بطل ٩ شعبان ، الشيخ الوقور الحسين بن على حارس الكعبة وحفيد عبدالمطلب يقرر مصير امته ويمد يده مصافحا من عدوه باستقلال بلاده وتأمين حقوقها وحريتها تامة كاملة ـ فيتناول بندقيته فى يوم ٩ شعبان هذا قبل اثنتى وعشرين سنة ويطلق اول طلقة منها معلنا دخول العرب فى الحرب العامة لنيل استقلال بلادهم وحريتها ، وهذه النهضة ولاشك لها النصيب الاوفى والكبير فى استقلال العراق ، وغير العراق من البلاد العربية ، ولولاها لما كانت الفكرة القومية العربية على الرغم من كل العراقيل الماضية والحاضرة تنمو هذا النمو وتسود هذه السيادة ، فهو رحمة الله عليه قد بذر البذرة فعلينا نحن ان نقوم برعاية نموها وسوف تنمو هذه البذرة على الرغم من انوف الاعداء وستكون شجرة مباركة وارفة الظلال يتفيأ ظلها المديد السعيد كل الناطقين بالضاد ان شاء الله .

* * *

معنى القومية

القومية هى التجانس الروحى الذى يتناول الاهداف والمثل العليا للمستقبل والذى يستمد حيويته من الماضي . وهذا التجانس نتيجة طبيعية للبيئة والمحيط اللذين تعيش فيهما الامة . فالعلوم الطبيعية برهنت لنا على ان الصفات التشريحية والفيزيولوجية للجسم الحيوانى انما يكونها المحيط الذى يعيش به ذلك الحيوان بما فيه ماؤه وهواؤه وتربته وعناصره الغذائية وطقسه . فالفرو الطويل نجده صفة من صفات الحيوانات التى تعيش فى البلاد الباردة ولا تجد له اثرا فى الفصيلة التى تعيش فى البلاد الحارة او المعتدلة كما نجد المنقار الطويل فى الطيور التى تعيش فى المياه لتساعدها على التقاط غذائها الحيوانى من الماء بينما لا نجد لهذا الطول اثرا فى مناقير الحيوانات التى تعيش على الحبوب .

وكذلك البشر فانا نجد صفاته التشريحية والفيزيولوجية تختلف باختلاف المناطق التى يعيش فيها ، فنجده فى البلاد الشمالية ابيض البشرة ازرق العينين اشقر الشعر بطىء الحركة كثير التأنى كثير الطعام طويل القامة هادىء العواطف بعيدا عن التهيج والاندفاع قليل الاهتمام بالشؤون الحسية والشعر والغزل وكل ما يحرك اوتار الروح والنفس بينما نجد ابن عمه الذى يسكن البلاد المعتدلة يتصف بهذه الصفات عينها الا انها اخف وطأة واكثر قربا من اخيه الذى يعيش فى البلاد الحارة وكذلك نجد بشرة الجلد ولون العين والشعر يزدادان سمرة وسوادا كلما ابتعدنا عن الشمال وانحدرنا الى البلاد المعتدلة والحارة . فعندئذ تجد التشابه الخلقى يشمل الاقوام التى تسكن بلادا تتشابه اوضاعها الجغرافية والطبيعية ، ويبتعد هذا التشابه كلما ابتعدت اوصاف المحيط الذى تعيش فيه هذه الاقوام فنستنتج من هذه المقدمة ان الذى يكون اساس القومية وعناصرها الرئيسية هو المحيط وشرائط المعيشة وكلنا نعلم ان الطفل حين ولادته لا يتجاوز وزنه الثلاثة كيلوغرامات بينما نجد هذا الطفل يصبح وزنه ٧٠ كيلوغراما بعد ان يبلغ العشرين من العمر فلو فرضنا ان طفلا من ابوين شماليين ولد فى بلد شرقى ونما وترعرع فى هذا البلد حتى بلغ العشرين من العمر فتصبح جميع اجزاء جسمه مكونة من **ذرات هواء وتربة ذلك البلد الشرقى**

من الوجهة الفنية بطبيعة الحال لان هذه السبعين كيلوغراما التى كونت جسمه لم يكن مصدرها سوى الغذاء الذى تناوله من ذلك البلد الشرقى ومن مائه وهوائه فاذا تربى هذا الطفل الشمالى تربية روحية ونفسية فى هذا البلد الشرقى على غرار قومية ذلك البلد الشرقى فيصبح عندها كأحد افراد امة هذا البلد لان جسمه خلق من تربتها ونفسه صبت فى قالب قومية ذلك البلد وعليه يمكن تلخيص القومية والاسس التى تستند اليها الى قسمين جسمي وروحي او نفسى فكل شخص سكن بلدا احدة تكفى لترعرع هذا الجسم بمنتجات ذلك البلد من جهة وتطبعت نفسه على غرار نفسية اولئك القوم فانه يصبح من حيث الناحية الفنية الطبيعية والناحية النفسية القومية واحدا منهم .

وقد برهن الفن علاوة على ذلك ان نفس الكرويات الدموية وحجيرات الجسم تتبدل بتبدل المحيط وتأخذ الشكل الذى تتطلبه شروط ذلك المحيط الطبيعية . فالشخص الذى تكون هذه صفاته نجده لا يستمرىء الا طعام القوم الذين نشأ فى بيئتهم ولا يستلذ الا لموسيقى البيئة التى ترعرع فيها ولا يستطيب الا لغتها ولا يستسيغ الا شعرها وآدابها ولا يرتاح جسمه الا اذا لبس لباس القوم الذين تربى فى احضانهم فتشابه الميول ووحدة الطباع والعادات هى القومية بذاتها يضاف الى هذا وحدة اللغة والتاريخ هذه الوحدة التى تكون كيان القوميات القائمة فوق الكرة الارضية فى يومنا هذا . ولا دولة يمكن لها ان تقوم على اسس غير قومية وخاصة فى العصر الحاضر لان الذى يجمع بين اجزاء الدولة وهم الافراد ليس سوى هذه الوحدة فى الميول والطباع والعادات فاذا فقدت هذه الوحدة فقدت الاسس التى تتكون منها القومية ولذلك نجد الدول فى عصرنا هذا كل واحدة منها تجعل مركز الثقل لاهتمام زعمائها وقادتها فى تقوية روابط هذه الميول وتجانس هذه الطباع فكلما قويت هذه العناصر قويت اركان واسس القومية وكلما تقوت هذه تقوت الدولة على كل حال .

والحق انما هو بذرة لا تنبت الا على تربة القوة فكم من حقوق صريحة كثيرة نجدها اضمحلت وهدرت هدرا لانها لم تغرس فى تربة القوة وكما ان القوة وحدها لا تعيش مدة طويلة اذا لم تستند الى حق فكذلك الحق يتلاشى اذا لم يستند الى قوة فالقوة والحق اذن صنوان لا يعيش احدهما من دون الآخر . والقوة اذا كانت

صغيرة وقليلة لا تستطيع الوقوف تجاه من هى اضخم منها واعظم فشرط القوة للدوام والحياة انما يتوقف على ضخامتها وجسامتها وعظمتها .

ومن هنا نجد سر سيطرة الدول العظمى على التى هى اصغر منها شكلا كما يتضح لنا اسباب ضعف الدول الصغيرة وعدم تمكنها من تأمين مستقبلها والسير نحو اهدافها ومثلها العليا كما تتطلبه مرامى قوميتها .

فالمستقبل للامم الكبيرة وما بقاء الامم الصغيرة ودولها الا نتيجة للتوازن الدولى ففى اللحظة التى يختل فيها هذا التوازن يختل معه كيان هذه الدول فتبتلعها الدول الكبيرة ابتلاعا وتاريخ العالم قديمه وحديثه مشحون باقاصيص وروايات هذا الابتلاع والادماج .

وما اتحاد الدول البلقانى فى يومنا هذا الا نتيجة خوف دول البلقان الصغيرة من ان تبلعها الدول الكبيرة على الرغم من عدم انتماء هذه الدول البلقانية الى قومية او جنسية او عنصر واحد .

فاذا كانت الظروف العالمية واخطارها تقارب بين دول متباعدة فى العنصر واللغة والمقومات القومية فبالاحرى ان توحد بين دول تنتمى الى عنصر وقومية ولغة واحدة .

فالامة التى تسكن البلاد الممتدة من اعالى الهلال الخصيب الى عدن ومن خانقين الى تطوان انما هى امة واحدة فى اللغة والعنصر والقومية كما انها كانت تكون دولة واحدة منذ اواخر دور الراشدين الى اواخر ايام العباسيين هذا بصرف النظر عن انها كلها من احفاد الامواج العربية التى خرجت من جزيرة العرب منذ آلاف السنين وكونت امبراطوريات التاريخ القديم من آشورية وكلدانية وفينيقية وقرطاجية وفرعونية الى آخره فاقوام هذه الامبراطوريات التاريخية ترجع فى الاصل الى شجرة واحدة هى الشجرة السامية التى مهبطها ومنشؤها جزيرة العرب وهى نفسها التى وضعت اول اسس العدل والشريعة ونظام الحكم والحروف الابجدية والارقام الحسابية واسس الهندسة وعلم الفلك والطب والزراعة فى العالم .

فمدنية الدنيا الحالية لم تستند مقوماتها الا الى ما ابتدعته ادمغة الجزيرة العربية من اسس واحكام . فماضينا وحاضرنا ومستقبلنا كل ذلك يصرخ فى وجوهنا فى يومنا هذا ان اتحدوا ولا كرامة لشخص لا كرامة لبلاده ، ودولته ، مهما سمت به منازل العلم والثروة .

فعلينا جميعا ان ندرك هذه الحقائق بعقولنا ونغرسها فى قرارة نفوسنا ونسير بخطى واسعة نحو هذا الهدف الذى يؤمل لنا ولابنائنا واحفادنا الحياة بعز وكرامة فعندما تكون دولة او اتحاد دولى لا يقل عدد نفوسه عن السبعين او الثمانين مليونا هـذا العدد الضخم النشيط الثرى ، لا قوة فى العالم تقف فى وجهه ، فيردد عندها كل واحد منا كلام هرون الرشيد حين خاطب السحاب الذى يمر فوق سماء بغداد من دون ان يمطر : اذهب وامطر اينما شئت فان غلة مطرك ستأتى الى خزينتى .

الامبراطورية العربية (*)

—:o:—

المستقبل للامم الكبيرة ، اما الصغيرة منها فانها ستكون على مفرق طريقين فلها ان تختار اما ان تكون تحت رحمة الدول الكبيرة فى جميع شؤونها من سياسية واقتصادية وثقافية .... الخ واما الاندماج بها وترك قوميتها وقبول قومية الدولة الكبيرة التى لا مفر لها من التخلص من سيطرتها ونفوذها وستختار الدول والامم الصغيرة فى نهاية المرحلة الشق الثانى لما سيضمن لها من سعادة ورفاه ادبى ومادى عميم مقيم ولو فرضنا مثلا ان الاربعة او الخمسة ملايين عراقى ليسوا عربا ، لتضاءل الامل بتشكيلنا دولة ذات مستقبل وطيد مأمون وذلك لما يحيط بالعراق من امم ثلاث كبيرة قوية وهم العرب والترك والفرس . . فيتحتم علينا عندها ان نختار اما ان نكون تحت رحمة هذه الامم الثلاث او تحت رحمة الاقوى منها ، واما ترك قوميتنا الضعيفة وقبول جنسية اقوى الامم من جاراتنا والاندماج بها وما بقاء الدول الصغيرة فى اوربا الا نتيجة للتنافس السائد بين الدول العظمى . ومتى تطورت الظروف وزال هـذا التنافس الحادث بنتيجة حرب او عن طريق السلم فسنرى هذه الامم الصغيرة تطغى عليها فجأة امواج ما يجاورها من اوقيانوسات ومحيطات الدول العظمى فتبتلعها وتجعلها بين عشية وضحاها ولاية من ولاياتها وبعد جيل او اكثر بما تتخذه من تنظيمات ثقافية وتهذيبية وسياسية واقتصادية تنسيها لغتها الضعيفة الصغيرة وتقيم مقامها لغتها الضخمة العظيمة الجبارة وهكذا يتم تمثيلها ودمجها النهائى بالامة الكبيرة . والتاريخ مشحون بالامثلة سواء كان القديم منه او الحديث الشرقى منه او الغربى ومليء بصور هذا الدمج والهضم والتمثيل الى ما لا نهاية له وامتنا العربية تعد فى مقدمة الامم كفاية واستعدادا لهضم وتمثيل العنصريات والقوميات التى تسيطر عليها . وما ذلك الا للخلق الكريم الذى يمتاز به العربى فطريا والصفات الفروسية التى يتصف بها والتى تحببه لسائر الاقوام الغريبة عنه وفى مقدمتها الوفاء والسخاء وحب الخير للناس والشجاعة واكرام الضيف والرحمة والحنان والعطف على الغريب يضاف الى هذا الخلق الكريم المحبوب

(*) خلاصة محاضرة القيت فى نادى المثنى .

اعضاء فرقة الجوال العربى اثناء تمرنهم على الرمى فى سدة
« ام الطبول » ويرى فى هذه الصورة الدكتوران متى
عقراوى وفريد زين الدين والسادة خالد الهاشمى
واكرم زعيتر ودرويش المقدادى

ما تتمتع به لغته من ثروة وجمال وأدب وموسيقى وشعر وخيال فيطغى هذا الخلق النبيل وهـذه اللغة الفخمة العظيمة على ما هو تحت نفوذها من القوميات فلا تستطيع تحت تأثير هذه المغريات المقاومة فتتخدر تحت سيطرة هذا الخلق العظيم من جهة ثم تسكر تحت انغام لغة القرآن المجيد من جهة ثانية فتستسلم طائعة راضية كما يستسلم القلب المحب لحبيبه فتتم المصاهرة الروحية اولا ثم الاندماج والتمثيل التام وتاريخنا ولله الحمد لم يلوث باية صفحة عنف واضطهاد من هذه الناحية ، بل نجده بالعكس مليئا بآيات الحب والوفاء والشيم الكريمة ، ولو احصينا نسبة الالفاظ والكلمات العربية المتغلغة فى صميم اللغات الحية الشرقية من كردية وتركية وفارسية وهندية وافغانية لما وجدناها اقل من ثلاثين بالمئة على اقل تقدير والاغرب من ذلك ان البعض من هذه الامم التى حاولت التخلص من سيطرة اللغة العربية على لسانها بعد نهوضها القومى قد فشلت فشلا ذريعا ورجعت طائعة راضية مستسلمة لسلطان لغة القرآن الكريم على لسانها ورمت سلاح محاربتها جانبا واذعنت للامر الواقع فبقيت كلماتنا والفاظنا العربية كما كانت العمود الفقرى من هيكل هاتيك اللغات . وكانت امتنا العربية على استعداد تام لتمثيل امم الشرق الادنى قاطبة وصبغها بالصبغة العربية لغة ودما وثقافة لولم تتخاصم البيوتات المالكة فى دولنا العربية من علويين وعباسيين وامويين الامر الذى ادى الى انقراض دولنا فى ماضيات الايام . ولو اتفقت هذه البيوتات ولم يحدث ذلك النزاع على التاج بينها وذلك الانقسام الفجيع الذى ادى الى تدخل الاجانب فى الحكم لبقيت دولتنا العربيـة حتى يومنـا هـذا ولمـا تمكن الاجنبى من التغلب علينا والأسفاء ، ولكنا نرى اليوم دولتنا تحكم الشرق القريب والاوسط كله ولكنا نجد الناس يتكلمون العربية من خيوة وبخارى وسمرقند حتى ضفاف البوسفور وتخوم اواسط فرنسا ولما تجرأ الغرب على فتح الشرق ولما رأينا انتدابا ولا استعمارا ولا حماية ولكانت كفة الشرق هى الراجحة فى العالم حتى اليوم . ولكانت امم الشرق هذه كلها امة واحدة تتكلم لغة واحدة وتعتنق ايمانا واحدا ، وهما اللغـة والايمان العربيان ولكن : اذا كان نزاع بيوتاتنا على التاج قد افقدنا فرصة تمثيل امم الشرق الاوسط . وامم الشرق القريب فان مدة حكمنا على الرغم من قصرها قد فسحت لنا المجـال لتعريب او لتمكين اقـدام العروبة فى العـراق وسورية وفلسطين ومصر وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش وسائر اقسام شمالى افريقيا تلك البلاد التى

لم تكن معظمها عربية قبل الفتح العربى فى القرن السابع الميلادى وما بعده والتى تمتد من جبال طوروس الى خانقين حتى تطوان والتى تبلغ مساحتها السطحية ملايين الكيلومترات المربعة ونفوسها عشرات الملايين وحيث كان قبلها العرب لا تتجاوز بلادهم حدود الحجاز واليمن ونجد ونفوسهم بالكاد تبلغ الخمسة ملايين . فهذا هو أرثنا المادى الضخم من اجدادنا الفاتحين وهذا هو تراثنا العظيم من آبائنا واسلافنا العظام الصناديد واما ارثنا الادبى فذلك ما يتحدث عنه فلاسفة الغرب وعلماء التاريخ المنصفون فى اوربا قبل ان نتحدث عنه نحن انفسنا ويكفينا اننا كنا حملة مشعل المدنية والنور الوحيدين فى العالم طيلة القرون الوسطى بعكس سائر الامم التى كانت غارقة فى سباب الجهل فنقلنا لاوربا الحديثة اسس العلم التى بنت عليها مجدها المادى والادبى فى عصر نهضتها الحالية .

ان لامتنا كما لسائر الامم اعداء ، والعدو للامة كالعدو للعائلة على نوعين داخلى وخارجى والعدو الداخلى عادة يكون اشد فتكا وتهديما من العدو الخارجى وما من امة نهضت نهضة صحيحة بدون ان تقضى اولا وقبل كل شىء على عدوها الداخلى وتستأصل جذوره من اسسها استئصالا تاما . والعدو الداخلى هذا هو اولئك الافراد او تلك الكتل التى تسوقها ثقافتها وتقودها تعاليمها البيتية والمدرسية والاجتماعية الى ان ترى نفسها غريبة فى وسط كيان الدولة فتجعلها تشعر بان سمو وتعالى هذه الدولة يضر بمنافعها ويحط من قدرها ويصغر من شأنها ويحقر من شخصيتها ولما كانت قوتها لا تساعدها على الوقوف فى وجه دولتها واعلان خصومتها لها وجها لوجه فانها تسعى فى الخفاء مادة فى الظلام يدها للعدو الخارجى تتصافح واياه وتتآمر على ان تكون جاسوسة له وعينا وقلبها ملىء بالحسد والغيظ والانتقام وبذلك يتم التحالف بين عدوى البلاد الداخلى والخارجى على وضع خطط التهديم والتحطيم وهذه الخطط الهدامة قد تقدمت فى عصرنا هذا بنسبة تقدم العلوم والفنون ففيها السياسية وفيها الاقتصادية وفيها الثقافية والاجتماعية .... الخ ولذلك نجد العدو الخارجى لا يعتمد فى تجسسه الا على عدو الدولة الداخلى اذ هو معدود من اهل البيت يا للاسف ويستطيع الاطلاع والوقوف على كثير من الامور التى ليس فى استطاعة الاجنبى والغريب عن البلاد الوقوف والاطلاع عليها . تركيا وايران امامنا قبل نهضتيهما الاخيرتين يمثلان مثلا رائعا لما نحن فيه الآن أتدرون ماذا كان نوع

الدعايات السيئة التى كانت تبث عن هاتين الامتين الكبيرتين فى داخل بلادهما والخارج من قبل عدويهما الداخلى والخارجى المتآمرين على تحطيمهما ؟ كان يقال عنهما انهما شعبان مريضان وانهما على وشك الانقراض والموت ، وان الفساد متغلغل فى كل ناحية من نواحى حياتهما الادبية والاجتماعية والنفسية وان بعثهما من جديد بعد هذا التفسخ من رابع المستحيلات وهما مصدر فساد ووباء للبشر ومصلحتهما ومصلحة العالم يقضيان بوضعهما تحت استعمار وانتداب الدول الكبيرة وكانت كل هفوة تصدر من هاتين الامتين وكل غلطة مهما صغرت تجسم فى الداخل والخارج بانواع الاساليب والدعايات الجهنمية فتعرض للعالم كأنها مثال للانحطاط وانموذج للهمجية والوحشية واستمرت الحالة هذه فيهما مدة وانتشرت الى درجة فقد فيها حتى ابناء البلاد ثقتهم فى امتهم وراحوا يتحرون سبل الخلاص لهم بقبول ارأف الامم استعمارا والينها جانبا فى الحماية والاستملاك حتى بزغ فجر نهضتيهما من سماء دماغى مصطفى كمال والبهلوى فكان اول عمل قاما به هو القضاء التام على اعدائهما الداخليين فاستأصلا جذورهم بلا شفقة ومن دون اية رحمة ، وهكذا فعل هتلر وموسولينى حيث وضعا اول مادة فى دستور نهضتهما افناء اعدائهما الداخليين وبعدها كلما تقدمت نهضتا تركيا وايران وكلما تضاءل شأن عدوهما الداخلى انقشعت غيوم تلك الدعايات السيئة عن سماء هاتين الامتين حتى انقلبت الآية عندما تطهرت تربة اوطانهما من الدنس والفساد فصرنا لا نسمع بعدها عن هاتين الامتين الا كل ما يشرفهما وكل ما يزيد فى قدرهما ووزنهما فى نظر القريب والبعيد. وضرر العدو هذا كان لا يقتصر فقط على الدعاية السيئة بل يتناول سائر مناحى الحياة الاقتصادية والثقافية والقومية ، فيهدم منها ما استطاع هدمه حتى يجعل جسم الامة مريضا فى شتى اعضائه ونواحيه بحيث لا يستطيع النهوض واذا قدر له ونهض فتكون نهضته هزيلة مرتعشة لا تستطيع السير بقدم ثابتة وتسلق شواهق المجد والعظمة والسؤدد كما يتسلقها الجسم السليم المعافى . فوضع بلادنا العربية الآن هو كثير الشبه بوضع تركيا وايران فى فجر نهضتيهما فاين ما تلتفت تجد كل ما يحرج ويؤلم من الدعايات ضدنا فطعون فى كفايتنا ونظريات فى ضعف استعدادنا واستصغار كل شأن من شؤوننا الى درجة اصبح معها عدد غير قليل من المتنورين والمثقفين يشك بحقيقة مزايا وكفايات الامة العربية فى الاستقلال والنهوض كما كان يشك التركى

او الفارسي فى حيوية امته ومزاياها فى الرفعة والنهوض ولو امعنا التدقيق فى الدعايات التى تبث فى كل قطر من الاقطار العربية ضد القطر الآخر ولو تعقبنا مصادرها لما وجدنا فيها مصدرا واحدا عربيا بل بالعكس نجد كل تلك المصادر غير عربية تبثها باسم الاقليمية المتعصبة للغير لمقاومة الفكرة العربية ولا ننسى ان لهؤلاء الاعداء تشكيلات وتنظيمات وميزانيات وسماسرة ودعاة مبثوثين بيننا ديدنهم الوحيد تهديم وتحطيم كل بناء يشاد لمجد العروبة ونحن ان كنا لا نلوم الاجنبي على توجيهه العداء نحونا وهو ما تسوقه اليه اغراضه ومنافعه التى يستهدفها فاننا لاشك ينبغى ان نشخص ونعالج هذا النوع من الاعداء فى الداخل ونقضى عليهم كما قضت تركيا وفارس . وسبل البث فى هذا المضمار هى المدارس بالدرجة الاولى واساليب التثقيف والكتب والمطبوعات على مختلف انواعها فالواجب اذا يحتم علينا ان نسيطر تمام السيطرة على جميع المدارس غير الحكومية من اهلية ودينية واجنبية وان يكون للحكومة النفوذ التام المطلق على مناهج التدريس فى هذه المدارس وعلى اساليب التدريس والهيمنة الكاملة على تعيين المعلمين والمديرين والسلطة فى عزلهم وتعيينهم وترفيعهم وان تؤخذ كافة الاحتياطات فى عدم تعيين اى مدرس او مدير مدرسة لا تأتلف اهدافه ونياته مع اهداف ومثل البلاد العليا . فتركيا وفارس قد الغتا كافة المدارس الاهلية والاجنبية فى بلادهما الا النادر منها وهذا القسم تسيطر على مناهجه ومعلميه سلطة المعارف والطفل او الشاب مهما كانت ديانته وجنسيته اذا تثقف فى كافة مراحل حياته الدراسية بثقافة واحدة ورضع من ثدى تهذيبى واحد فيكون تكوينه الدماغى وميوله العامة واحدة متجانسة فلا يسهل بعدها جره الى سبل معاداة دولته ووطنه وهكذا كلما مر جيل نجد التجانس يزداد حتى يأتى دور تزول فيه كافة الفوارق بين ابناء الدولة والوطن الواحد على الرغم من اختلاف الجنس والدين فيكونون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وهكذا نحصل على ناشئة متحدة التفكير متجانسة الميول لا تستهدف غير المثل الشريفة التى تستوحى من منافع البلاد العليا ولا يصبح احد منهم يشعر بعد ذلك بانه غريب داخل حدود دولته فيكرهها فيسوقه هذا المقت لها الى ان يكون وسيطا للعدو الخارجى الاجنبى واذا قامت بهذا العمل كافة البلاد العربية حصلنا على ناشئة متجانسة يسهل جدا تعاونها فى سبيل غاية توحيد الامة العربية كما اننا نكون قد قضينا على منابع تصدير غرباء واعداء للبلاد ، من ابناء وطننا

وطهرنا تربة بلادنا من الادغال والحشائش السامة الفتاكة وقضينا على كافة الحشرات والعقارب والافاعى ومنعناها من ان تبيض وتفقس وتفرخ فى تربة اوطاننا المقدسة الطاهرة فتلوثها بسمومها واوبائها .

والدولة العربية الكبرى ليست ببدعة ولا هى بشىء جديد وغريب وانما كانت موجودة وقائمة فعلا ولم تكن تسيطر على البلاد الناطقة بالضاد فى الوقت الحاضر فى آسيا وافريقيا فقط وانما كان يمتد حكمها حتى تخوم الشرق الاقصى من جهة والى اواسط اوربا من الجهة الثانية واننا لم نحكم انفسنا فقط وانما حكمنا امما واقواما كثيرة اخرى حكمناها بالعدل ولم يذكر التاريخ فاتحا وحاكما اعدل من العرب كما يشهد بذلك علماؤهم وفلاسفتهم ومؤرخوهم فالدعايات السيئة التى تقرأونها وتسمعونها عن عدم كفايتنا فى الحكم هى مردودة بحكم الواقع ويكذبها التاريخ وليس ذلك فقط بل ازيد من هذا وهو ان الامة العربية لم تكن فى حكمها الاقوام الغربية منها تتوخى بالدرجة الاولى تجارة ومالا او منافع اقتصادية ومادية كما تتوخى الدول المستعمرة الآن من حكم الاقوام الغربية عنها انما كان العرب يستهدفون فى حكمهم غاية اسمى وارفع وهى الهدى والفضيلة ونشرهما بين الناس فالفضيلة هى التى تضمن السعادة الحقيقية للمجتمع اما المادة والاقتصاد فكانوا يضعونهما دائما فى الدرجة الثانية والكتاب الآتى الذى اقرأ نصه عليكم والذى بعث به عمر بن عبدالعزيز احد ملوك الامويين الى والى مصر ابن شريح حين تذمر هذا عند مليكه من قلة واردات ولاية مصر لكثرة دخول الاقباط فى الدين الاسلامى وقبولهم الجنسية العربية مقترحا عليه رفض تجنسهم و الاستمرار فى اخذ الضريبة منهم رغم هذا التجنس يبرهن على ان العرب جبلوا وفطروا على الهداية وليس للجباية كما يفعل المستعمرون الآن حيث قال له : « اما بعد ، فقد بلغنى كتابك وقد وليتك جند مصر وانى عارف بضعفك وقد امرت رسولى بضربك على رأسك عشرين سوطا فضع الجزية عمن اسلم قبح الله رأيك . فان الله انما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ولم يبعثه جابيا ولعمرى لعمر اشقى من ان يدخل الناس كلهم فى الاسلام على يديه » واظن ليس من السهل ان نجد صفحة تاريخية تمثل فيها المجد والسمو فى تاريخ سائر الامم كهذه الصفحة الخالدة وكذلك لما فتح بانى مجد العروبة الاول محمد صلى الله عليه وسلم مكة جمع قبائل قريش التى عادته وحاولت

الفتك به وحاربته مرارا عديدة وقال لهم : « ما تظنوننى فاعلا بكم ؟ فاجابوه : كل خير فانك أخ كريم وابن أخ كريم » فتناسى آلامه وعذابه الذى صبوه على رأسه سنين طويلة وقال لهم : « اذهبوا انتم الطلقاء » فدخلت على اثر هذه الجملة كافة قريش فى الاسلام وتجندت فى صفوف محمد حيث ظهر منها القواد الفاتحون العظام الذين فتحوا ثلثى العالم وملأوه عدلا وشرفا ومجدا . فالعفو عند المقدرة من تقاليد العرب الخالدة والتى تكون جوهر روح الفروسية التى خلقها العرب ونقلوها الى اوربا مع ما نقلوا من اخلاق وصفات كريمة وحيث اشتقت منها الديمقراطية الحالية الاوربية وذلك بشهادة المستر كلوب الذى بنى عليها محاضرته التى القاها فى الجمعية الاسيوية فى لندن سنة ١٩٣٧ .

ان تكون الدول وتحالفها ووحدتها قد جرى منذ فجر التاريخ حتى الآن اما بنتيجة المساعى السلمية او بنتيجة حرب وهكذا تكونت الوحدتان الالمانية والايطالية فكان الساعون لهما ينتهزون كل فرصة فيستغلونها سواء كانت حربية او سلمية واستمروا على عملهم فى ضم اقطارهم الواحد تلو الآخر الى نواة الامبراطوريتين حتى تكونت هاتان الدولتان العظيمتان فى النصف الاخير من القرن التاسع عشر . وهكذا ستتكون الجامعة العربية ايضا ويعود التاريخ سيرته الاولى وهذه المساعى تحتاج الى اربعة عناصر مجتمعة رئيسية ، تحتاج الى استقلال القطر الذى يسعى لها ، وتحتاج الى سيوف واقلام ومال . فلننظر الى خارطة بلادنا العربية ولنتحر فى اى قطر من هذه الاقطار تتوفر هذه العناصر الاربعة . واظن اننا بنظرة واحدة سنتيقن من ان هذه العناصر الاربعة ـ مجتمعات لا تتوفر الا فى العراق ومصر فعندئذ تقع مسؤولية تكوين دولتنا الكبرى او جامعتنا او حلفنا الكبير على هاتين الدولتين ـ وعلى الرجال المسؤولين عن هذين القطرين ان يتفاهموا ويضعوا برنامج السير نحو هذا الهدف المقدس الذى من دونه تبقى اسس دولنا كأنها قائمة على الرمال التى تنهار بسرعة ويبقى كل واحد منا عرضة لخطر الاضمحلال والفناء ـ طالما تحيط بنا دول اقوى منا ليس باستطاعة كل واحد منا مقاومتها على انفراد ومن الضرورى تأسيس حزب لهذا الغرض يكون له مركزان رئيسيان احدهما فى بغداد ـ والثانى فى القاهرة يسعى لضم كافة رجال السياسة والعلماء والماليين وكل من له شأن فى هذه البلاد تحت لوائه واظن ان سيكون من اهم مواد نظام ومنهاج هذا الحزب تقسيم البلاد العربية

الى منطقتين كبيرتين شرقية وغربية تودع الشرقية منها للعراق ليقوم بث هذه المبادىء في ربوعها ويتولى تشكيلات السيف والقلم والمال ، التي تستهدف هذه الغاية في كافة مناحيها ، وتودع المنطقة الغربية لمصر ويعمل هذا للاستيلاء تدريجيا على شؤون اداراة المدارس الاهلية في المنطقة ومساعدة هذه المدارس ماليا وكذلك الاستيلاء على صحافتها ومن ثم السعي الى توحيد ورفع الحواجز الكمركية وجوازات السفر وسن قوانين اقتصادية هدفها عدم شراء اية بضاعة من بلد غير عربي ما دام لها مثيل في بلد عربي وتوجد سلاح الجيوش وانظمتها وقوانينها وكذلك توجد مناهج المعارف وخاصة مناهج دروس التاريخ وتبادل الاساتذة والمدرسين وضباط الجيش والعلماء والاختصاصيين ومن ثم توجد القوانين العدلية اولا ثم سائر القوانين الادارية والمالية والاقتصادية حسب الامكان وتشجيع التزاوج بين هذه الاقطار وخاصة ما بين البيوتات المالكة واصدار مجلة خاصة بالحزب تنشر تقريرا سنويا عن كل خطوة جديدة تخطوها خلال السنة للتقرب من اليوم المقدس واذا ما تهيأ الجو بمساعي الحزب هذه فيصبح عقد معاهدات التحالف ووضع خطط التوحيد ميسورا جدا وممانعة الدول الاجنبية لهذا الحلف تعالج بالنسبة للظروف والاحوال فاننا ما زلنا نرى كيف ان الدول النشيطة الناهضة تستفيد من منافسة الدول العظمى بعضها مع البعض فالبلاد العربية زاخرة ولله الحمد بالقوى المادية والادبية وبالمال فلا تحتاج الا الى تنظيم هذه القوى وتوجيهها نحو هدف الوحدة فان تم ذلك فليس هناك قوة في العالم تستطيع مقاومتها وسنرى عندها الدول التي تمانع في الوقت الحاضر في تكوين جامعتنا تسارع لمساعدتنا وخطب ودنا لتكون لها عندنا المنزلة التي تتزاحم عليها مع رقيباتها ومنافساتها من سائر الدول .

• • • •

تاريخنا القومي (*)

كيف ننظمه وندرسه ؟؟

———:o:———

عندما جاء المهنئون الى بسمارك ليهنئوه بنجاحه فى توحيد المانيا التى كانت دولها تعد بالعشرات ثم تكونت منها دولة عظمى كانت عاملا رئيسيا فى تسيير شؤون العالم بعد ان كانت كل منها تحت سيطرة ما جاورها من الدول القوية ، تحت حمايتها وتارة تحت استعمارها اجابهم ان التهنئة ليست لى بل للمعلم لانه هو الذى هيأ المانيا لتكوين امبراطوريتها • وهـذا القول لم يبالغ فيه بسمارك بتاتا • فاذا كان بسمارك جعل الفخر كله بصورة عامة للمعلم فلاشك فى ان معلم التاريخ فى المقدمة فهو الذى يلقن من يكون تحت اشرافه وادارته من التلامذة كرامة الامة وامجادها وماضيها بما فيه من مفاخر وعز وكل مزية تخلق فى التلاميذ بصورة خاصـة والبشر بصورة عامة الاباء والشمم والكرامة والاعتماد على النفس • وعلى ضوء هذا التلقين تتكون فى التلميذ خاصة وفى المجتمع عامة الآمال والمطامع والاهداف التى يهتاج شوقا لبلوغها وتحقيقها فالمستقبل عجينة بأيديكم وفى استطاعتكم صبها بالشكل الذى ترغبون فيه ولاشك فى ان الرغبة السامية والمثل الاعلى اليوم هما توجيـه الناشئة الى الاهداف والنواحى التى تؤمن لامتنا العزيزة كل اسباب السعادة والرقى والعزة • والتاريخ نوعان تاريخ للعلم وتاريخه وتاريخ للتثقيف فموضوعنا وما يطلب منكم هو التاريخ للتثقيف والتوجيـه وليس التاريخ للعلم وتاريخه ، وكل امـة تستهدف للظروف وللاحوال المختلفة يكون من الحكمة وبعد البصر شرحها وتفصيلها واعلامها •

فالامبراطورية الرومانية فى ادوارها قبل انقراضها استولى على زمام امورهـا زعماء ليسوا من الامة الرومانية • وتدخلوا فى شؤونها وارتقوا أعلى مناصبها فكان تدخلهم هذا فى الدولة الرومانية واستيلاؤهم على مراكز النفوذ فيها من اسـباب انقراضها وتدهورها وكذلك باقى الامم والامة العربية خاصـة فى اواخر الدولة

(*) خلاصـة المحاضرة التى القاها حامى الفتوة على المديرين والمديرات ومدرسى التأريخ فى مدارس بغداد •

العباسية حين تدخل الاعاجم فى شؤونها مما سبب انقلابها فعلينا لكيلا نجعل التلميذ يشعر بضعف فى سجايا امته او عدم مقدرة فى تكوينها السياسى ان نبادر الى ايراد الامثلة من سائر الامم التى جرى لها مثل ما جرى للدولة العباسية فاذا ذكرنا للتلميذ ان الاجانب تدخلوا فى شؤون الدولة العباسية ولم نذكر له ما جرى لسائر الدول الكبيرة التى حل بها ما حل بالدولة العباسية لا نستطيع ان نحول دون تسرب شىء من التضعضع المعنوى فى نفسه وكل امة تتعرض الى المرض فى اكثر ادوارها وهـذا لا يدعو الى اليأس والقنوط ولا يستوجب المهانة والذل فى استمرار المرض وموت القوى الحيوية فى تلك الامم فما دامت لغتها حية وما دامت شاغلة بقعة جغرافية شغلتها ايام عزها واستقلالها فهى مستعدة لاستعادة ما فقدته من العظمة والسؤدد والمجد .

هدفنا بالدرجة الاولى هو غرس عواطف الحب للتاريخ فى الناشئة فيجب ان نصوغه بشكل لا يدع التردد ينفذ الى قلب الطفل فى قبوله وتعشقه ، وعلى هذا الاساس يجب ان يكون تدريس التاريخ .

كنا تلامذة فى المدارس العثمانية وقرأنا التاريخ العثمانى وكانت اهم فصوله التى درسناها حروب الدولة العثمانية مع السلاجقة وامواج التترية التى يرأسها جنكيز وهولاكو فالتاريخ الذى درسناه كان يلعن هؤلاء سواء كانوا من السلاجقة او من الامواج التترية الذين حاولوا تحطيم الدولة العثمانية مع ان الكل كانوا من الاتراك وكانوا يصورون لنا هذه الامواج كمثال للهمجية والوحشية والبربرية وكل ما ينفر الانسان منه .

هل تدرون كيف صنع التاريخ التركى الحديث ؟ قلبت تركيـا التاريخ الذى درسناه رأسا على عقب وما تركت فيه اية جملة او اشارة او اثر او مغزى تشم منه رائحة الاهانة او التحقير او المس بكرامة الاتراك بصورة عامة بحيث جعلت الذين كنا نلعنهم من ذوى النعوت السامية فى المجد والتقدير .

وما الغاية الا عدم جعل التلميذ التركى يحس بعدم الثقة وتزعزع الايمان بالنسبة الى زعماء امته الذين لعبوا ادوارا شتى فى تاريخها .

فترون كيف يصاغ التاريخ حسب الحاجة وهذا هو تاريخ التوجيه . اما التاريخ للتاريخ فلا شأن له فى مجتمعنا الحاضر وهو يخص الاختصاصيين والمتفرغين الى العلم فقط والتواريخ التى فيها ما يمس هذه الاهداف تقبر ولا يطلع احد عليها . والصور

ان الكتل العربية التى تكون مشبعة بروح القومية العميقة والشعور بالعز والمفخرة يجب ان تنبش قبر ابن خلدون لمجرد قوله « العرب امة لا تتحد ، العرب امة غير سياسية » ولمجرد كفرانه هذا الكفر ! .

والعلم يقال له علم لانه لا تشترك معه العاطفة وانما تشترك العاطفة فى الفنون كالشعر والرسم والموسيقى والتمثيل ومن ليست له عاطفة فلا يستطيع ان يشعر بصور او تمثيل واعتقد ان مدرس التاريخ ان لم تكن له عاطفة حب لامته وتعشق رجالات قومه لا يستطيع ان يدرس التاريخ ، فالتاريخ من هذه الجهة من صنف الفنون . اذا دققنا تاريخ امتنا نجد مزايا ومفاخر اختصت بها دون غيرها واهمها سيطرتها على النفوس والارواح وعدم اكتفائها بفتح الممالك وما من امة مهما عظمت فى عملها وقوتها لها قدرة السيطرة على النفوس كالامة العربية .

اية امة جعلت الامم التى فتحتها تتوجه خمسة اوقات يوميا نحو بلادها ؟ بينما اليوم نرى اربعمائة وخمسين مليونا من العالم يتوجهون خمسة اوقات الى جهة مكة بلدنا العربى . هذا هو فتح النفوس الذى لم يستطيع اسكندر ولا اغسطس ولا هانيبال الاتيان به . كل امة نهضت كانت اقل نفوسا عندما هوت ، الا الامة العربية فعندما هوت كان عددها (٨٠) مليونا وعند تكونها كانت خمسة ملايين . تلك صفة لا تشاركها فيها باقى الامم .

الامة العربية تسحر الامة التى تسيطر عليها ولهذا مصدران اولهما خلقها وثانيهما لغتها فالعربى لا يحب الاذى حتى لعدوه ومن افضل مزاياه العفو عند المقدرة وهو سخى ووفى بالفطرة ولا ينسى الحسنات فاذا ما اسداها اليه شخص آخر ، يردها بأحسن منها وهو يتألم لتألم غيره ، وهذه المزايا نذكرها من دون عجب لفطرتنا عليها الا ان الذى يعيش بين الغرب يسحر ويتعجب من هذه الصفات فالاقوام يرون الوفاء شيئا غريبا ، ومنشأ السحر الثانى لغتها لقد حدث ان لقيت كثيرا من الاجانب الذين ضربوا بسهم وافر فى دراسة اللغة وسألتهم ترجمة (وهمت به وهم بها) فلم اجد من عرفها وكثير من كلمات اللغة العربية لا يمكن ترجمتها حيث ان النفسية العربية صاغت بها جملها هذا قبل الوصول الى القرآن الحكيم حيث تخرس الالسن وتكم الافواه ولا يمكن ان يقاس به .

وكيان دولتنا العراقية قائم على الموازنة فاذا اختل التوازن الدولى يختل توازنها

فعلينا التفكير بمستقبل ينقذنا من الالتجاء الى الموازنة الدولية .

وان المؤهلات التى تمكننا من ذلك متوفرة ولذا ينبغى لنا ان نلقح ناشئتنا بهذا اللقاح وهو ان نبث فيهم القوة الى درجة الاستغناء عن الالتجاء الى التوازن الدولى فهذا الطموح وهذه الآمال يجب ان تغرس فى نفوس الناشئة . فان الامم لم يجعلها تحافظ على كيانها سوى الموازنة فيجب التفكير والعمل بلا ابطاء والعمل والسعى يتوجبان على المدرسين عامة وعلى مدرسى التاريخ خاصة .

واكبر دليل على ذلك ان كل الامم الناهضة بعد تبعثرها كان اول عمل قام به زعيمها وضع تاريخ يستمد قوته وحيويته من الماضى وعلى هذا النور تبين اشكال المستقبل التى تجعل التلميذ يساق نحوها فمصطفى كمال كان من اول اعماله التى قام بها بعد نهضته ترميم تاريخ امته وتنقيح جميع ما يؤخر تركيا ويضر تلامذتها كذلك فعل موسوليني وغيره من العظماء .

ووزارة المعارف مشغولة بتنقيح ما هو بين ايديكم من التواريخ وترك ما هو فارغ منها وعن قريب ان شاء الله يتم ذلك فيكون مما يتحرك الطلاب شوقا الى دراسته وبهذا التاريخ سنتوخى كل هذه الحقائق التى ذكرنا نبذا عنها وانا لواثق ان كلا منكم يشعر كل الشعور بما تتطلبه الامة فالعلم ان لم يقترن بأخلاق وعواطف ذات مبادىء سامية يضر . وهذه حقيقة ثابتة والتلميذ الشاعر بكرامة امته شاعر بكرامة نفسه ومعنى ذلك انه مرتفع عن كل الصغائر واتمنى ان نكون يدا واحدة نحو هذه الغاية .

◆ ◆ ◆ ◆

عواطف الامم حين النهوض (*)

عندما تقلب يد القدر باصابعها الجبارة صحيفة تأريخ أمة راقدة لتفتح فيه صحيفة نهوض جديدة تجد اول عمل يقوم به زعيم تلك الامة هو اقامة منارتين فى آفاق تفكيرها • منارة للحب • ومنارة للبغض •

يعلن من منارة الحب ما يجب على الامة حبه وتقديسه من مثل عليا ومبادىء وخطط ونظم وتعاليم ومن رجال تأريخ احياء واموات ومن دول واوطان وامم ، ومن كتب واشعار ومن موسيقى وصور ومن كل شيء افادها ويفيدها وخدمها ويخدمها وادى او يؤدى واجب الوفاء نحوها كما يعلن من منارة البغض كل ما يتحتم على الامة بغضه والنفرة منه واتقاء أذاه والحذر من شره من رجال وخطط ونظم واوطان وامم وكتب واشعار او اى شيء آخر ضرها وآذاها او يخشى ضرره واذاه فهناك عندئذ تنقش قائمتان فى تفكير الامة قائمة بما يجب عليها حبه وعبادته وتقديسه وقائمة بما يجب علينا مقته وبغضه ومحوه وفناؤه وتتخذ جميع التدابير الادبية والمادية لتوحيد عواطف الامة فى هذا الميدان • والافراد الناشزون عن هذه الوحدة العاطفية يعدون خوارج تستحل الامة كفاحهم وقتالهم ونبذهم والزعيم الذى يغفل رسم هاتين القائمتين يكون كالام التى تخنق طفلها بعد الوضع بعد ان تكبدت ما تكبدت من الاتعاب

(*) نشرت فى جريدة العراق ومهدت لها بما يلى :

الدكتور سامى شوكة كاتب قدير ومحاضر مبدع عرفه القراء بمقالاته الممتعة التى نشرها فى هذه الجريدة فى اوقات مختلفة منذ سنين عدة موقعة باسماء اعاظم رجال العرب ونوابغهم الذين شغف بهم الدكتور الاديب وجعلهم مثله الاعلى فى حياته الادبية والعلمية ونظرا الى ما اتصفوا به من صفات وما امتازوا به من اخلاق سموا بها فسمت اعمالهم وجاءت بتلك الاعمال الجبارة فى الفتوحات العربية وما عقبها من ممالك عربية كانت غرة فى جبين الدهر .

والدكتور سامى كما قلنا كاتب مجيد لا يتناول موضوعا الا وابدع فى معالجته واشبعه بحثا وتحليلا قل ان تجدهما لدى غيره من الكتاب . وهذه المحاضرة التى تقرؤها انموذج من البحث الراقى والتحليل العميق الدقيق للمواضيع التى يطرقها حضرة الدكتور .

والاوصاب فى حمله ووضعه اذ يستحيل على امة اقتطاف ثمرات جهادها فى الوثوب والنهوض من دون هاتين القائمتين وفقدانهما يؤدى بطبيعة الحال الى فشل تلك النهضة وتبدد وتبعثر قوى الامة وتفسخها واضمحلالها .

فمحمد عندما نهض بأمته سطر على لوح الحب كلمة الله ، والجهاد فى سبيله والشهادة فى سبيل الاسلام والخير للجميع والصداقة والشهامة والوفاء والكرم والتضحية فى سبيل المجموع وسائر المثل العليا اذا فقدتها امة فقدت مقومات الحياة . كما سطر على اللوح الثانى الاصنام والشرك بالله والجبن والفتنة والدس والربا والخمر والميسر والفجور والكذب والنفاق والتذبذب وكل امر ان فشى فى امة حطمها ـ وفى اليوم الذى بدأت امته تحب وتبغض وتمكن هذا الحب والبغض فى فؤادها نهضت من رقدتها معافاة سليمة ثم اندفعت كالسيل الجارف تكتسح الجبال والسهول والوديان والعواصم والدول والتيجان والعروش رافعة راية الحق والفضيلة ناثرة بذور الخير والسعادة على امم الارض حتى اوقفتها شواطىء الاطلنطى غربا وجبال الصين شرقا .

ولما نهضت اليابان سطر فى لوح الحب تقديس الميكادو والموت فى سبيل الواجب والغرور القومى والتفانى فى سبيل الوطن واتقان صناعة الموت والفتح والاستعمار وفى لوح البغض مقت العناصر التى تكره العنصر الاصفر وخاصة الصقالبة اعداءهم التاريخيين وكل اجنبى يمكن ان يعرقل او يحول دون نمو اوطانهم وازدهارها وتبسطها ... الخ وكذلك المانيا فعلت وايطاليا وتركيا .

وهكذا عندما نقلب صفحات تواريخ الامم القديمة منها والحديثة نجد هاتين المنارتين قائمتين فى سماء تفكيرها ابان نهوضها ومجدها ونجدهما ماثلتين بين كل سطر وحرف من سطور وحروف تواريخها وما من امة نهضت من دون ان يتغلغل شعور هذا الحب وذلك البغض فى خلايا ادمغة ابنائها من دون ان تتكهرب فيه كل كرية دموية تجرى فى عروقها وما من امة كبت وتدهورت وانحطت ورقدت الا بانطفاء لهيب هذا الحب والبغض فى نفوس ابنائها واذا لم يقدر له ان ينطفىء تماما نجده خافتا هادئا او حائرا مشتتا مبعثرا والحب الموحد والبغض الموحد هذان لا يولدان من تلقاء نفسيهما وانما يشتعلان ويلتهبان بعد جهود ومساع منظمة بخطط ومناهج وتشكيلات ومؤسسات تتناول الطفل فى مدرسته ، والامرأة فى بيتها والرجل فى حقله ومصنعه

ومكتبه واذا قدر ان اوقدت فى آن واحد شعلتان او اكثر للحب متنافرتان وشعلتان او اكثر للبغض متباعدتان اى قيام مبدئين متعارضين فى امة يتكافآن من حيث القوة والمقدرة فعندها يحصل الاصطدام وتنقسم الامة على نفسها وبنسبة تنافر وتباعد هذه المبادىء وعلى قدر قوة حرارتهما واتقادهما وحدتهما يزداد انشقاق الامة ويلقى بها بها فى هاوية الثورات والمؤامرات كما هو حال اصطدام المبدأ الفاشستى القومى المتغلغل فى صفوف فرنكو من الامة الاسبانية والمبدأ الشيوعى المتغلغل فى صفوف الحمر من تلك الامة اما اذا كانت المبادىء مجموعة من خليط متنافر وخافتة الشعلة غير متوقدة فعندها تدخل الامة فى طور من التذبذب والتفسخ والانحلال لا تسير خطوة الى الامام حتى ترجع القهقرى خطوتين ولا تندفع مسيرة يوم يمينا حتى تميل ثانى يوم الى الشمال مسيرة يومين . وهكذا تتبعثر فى محيط كهذا القوى المنتجة وتشل الايادى المثمرة ويفقد الذكاء لمعانه والعبقريات سطوعها وتصبح الحقائق لغوا والمنطق هذرا والفضائل والصفات الخلقية العالية موضع سخرية وهزء ، والرذائل والسفالات النفسية محل سكوت وابتسام وعدم مبالاة وتصبح اكثر الجموع فى محيط كهذا لا حافز ولا دافع لها فى اعمالها سوى كسب المنافع المادية الذاتية الفردية وتصبح المادة والملاذ الجنسية الحافز الوحيد للمرء ويزداد ترديد الالسن لامثلة الفلسفة المتردية المتفسخة القائلة « ليكن بعدى الطوفان » والهاتفة « اذا مت ظمئانا فلا نزل القطر » .

ولاشك فى ان الامة العربية فتحت اجفانها من رقادها الذى استمر حوالى خمسة قرون فى اواخر القرن التاسع عشر حين صدح شاعرها ابراهيم اليازجى بقصيدته التى مطلعها « تنبهوا واستفيقوا ايها العرب ـ لقد طمى الخطب حتى غاصت الركب » تلك القصيدة التى كنا نحن شباب العرب نحفظها عن ظهر قلب ونحن على مقاعد المدارس العالية العثمانية ونتغنى بها فى حلمنا ويقظتنا وعيون الاتحاديين الحمر التى يتطاير منها الشرر مسلطة علينا حيث نهضت امتنا بعدها ، وتوالت وثباتها تارة دموية واخرى سلمية ولكن عندما يأتى المؤرخون ويسجلون تاريخ نهضاتنا هذه ووثباتنا سيجدون يا للاسف ان زعماءنا منذ نصف قرن تقريبا رغم ما ضحوا وبذلوا ورغم ما حباهم الله به من مواهب سامية عالية لم يستطيعوا تسطير ما كان يجب ان يكتبوه على تينك المنارتين فى سماء تفكير قوميتنا . نعم قد سطرت بعض السطور عليها ولكن لو تدرون كم كان بعضها باهتا ، وكم كان الآخر ناقصا ، وكان المجموع بعيدا جدا

عن ارواء غليل الامة واشباع حاجتها الى الحب والبغض . فالامة التى تنهض وتثور تتقد عواطفها وتشتعل نفوسها فتحس بعطش شديد للحب وحرقة عميقة للبغض والزعيم الذى لا يطفىء غليلها ولا يخط لها ويوضح لها بصراحة ما يجب ان تحب وما عليها ان تبغض يكون مثله كمثل ربان سفينة يبدد قوة البخار والكهرباء التى تدير دواليب سفينته فى الهواء فتبقى الباخرة لا تتحرك ولكن دواليبها تشتعل فتأتى الامواج وتقذف بالباخرة على الصخور فتحطمها .

ولكن علينا ان نعلم ان تسطير هاتين اللوحتين ليس بالامر الهين وقد برهن التاريخ على ان الارحام شحيحة جدا بولادة من يستطيع تسطيرها ولا تسمح باكثر من واحد فى عدة اجيال . فاللهم اسعدنا برؤية هذا الفردوس السعيد الذى تقوم تحت سمائه هاتان المنارتان الهاديتان حيث تتمتع تحت ظلالهما ، امتنا بالوحدة والمجد ذلك المجد الذى لا يقل روعة عما كان عليه زمن عبدالملك بن مروان وهارون الرشيد .

القومية العربية قبيل الحرب العامة (*)

كل ما اود ان احدثكم عنه فى هذا اليوم هو العهد الممتد منذ اواخر ايام عبدالحميد حتى الثورة العربية وما جرى فى هذه الفترة الزمنية من الانقلابات السياسية والاقتصادية والفكرية ، لان ذلك مما يجب ان يفهمه الشبان بصورة خاصة .

قبل عشرين سنة كنت طالبا فى مدرسة « اعدادى ملكى » كان ذلك بعد اعلان الدستور واننا فى هذا الزمن نفهم من كلمة « الدستور » شيئا ما كنا نفهمه فى ذلك العهد فهو يحمل فى معناه فلسفة سياسية خاصة ؛ وقد جاء اعلانه بعد عهد طويل مضى على الدولة العثمانية وهى تحكم حكما خاصا ولنستطيع ان نفهم عهد اعلان الدستورفهما جيدا من الواجب علينا مراجعة نوع الحكم السائد فى الدولة فى ذلك الزمن فقد كانت الدولة العثمانية تعتمد فى حكمها على اسين مهمين . اولهما فكرة الخلافة وثانيهما الفكرة العثمانية . الا ان الاولى كانت لها السيطرة العليا فهى اكثر الفكرتين نفوذا لا بل ان ما كان يتمتع به السلاطين من سيطرة خاصة وجاه وما كانوا ينالونه من خضوع الملايين من المسلمين انما كان بواسطتها فهم ولاشك كانوا يحكمون بالحق الالهى فالسلطان او الخليفة هو ظل الله على ارضه وهو خادم الحرمين اى خادم بيته الخ ... من الالقاب الاخرى . اما موقع الفكرة الثانية (العثمانية) فى سياسة الدولة فقد كان يركن السلاطين فى حالة فشل الاولى وبعبارة اخرى فى معاملة الرعايا غير المسلمين الذين لا يمكن اخضاعهم لسيطرة السلطان باسم الدين فيتخذ السلاطين والحكام مبدأ جديدا هو ان كل من استظل بظل الدولة العثمانية ونال تابعية عثمانية فهو عثمانى .

الا ان الامر لم يكن من البساطة على ما نتصور فقد كانت سياسة السلاطين سياسة عاتية فى معظم الاحيان ونحن لا يهمنا ان نتطرق الى ذكر كل من حكم الدولة من السلاطين ولكنا نهتم بصورة خاصة الى حكم عبدالحميد السلطان الذكى الماكر الذى جاءت به فئة من الشباب آملة فيه كل خير فارادت ان تكون منه ساعدها الايمن فى اصلاح

(*) خلاصة المحاضرة التى القاها سعادة الدكتور سامى شوكة على طلاب الصف الخامس من الثانوية المركزية كما دونها احد الطلاب .

حفلة مدرسية بستانية للفيف من طلاب المدرسة الثانوية (الاعدادى ملكى) فى بغداد ايام العهد العثمانى سنة ١٩٠٨ ويشاهد فيها السادة ناجى شوكة ، سامى شوكة ، نشأت السنوى ، بهجة زينل ، مصطفى عاصم ، كمال السنوى ، صائب شوكة ، عاصم الجلبى ، عمر شاكر ، القائد محيى الدين ، وغير هؤلاء من الاحياء والمتوفين

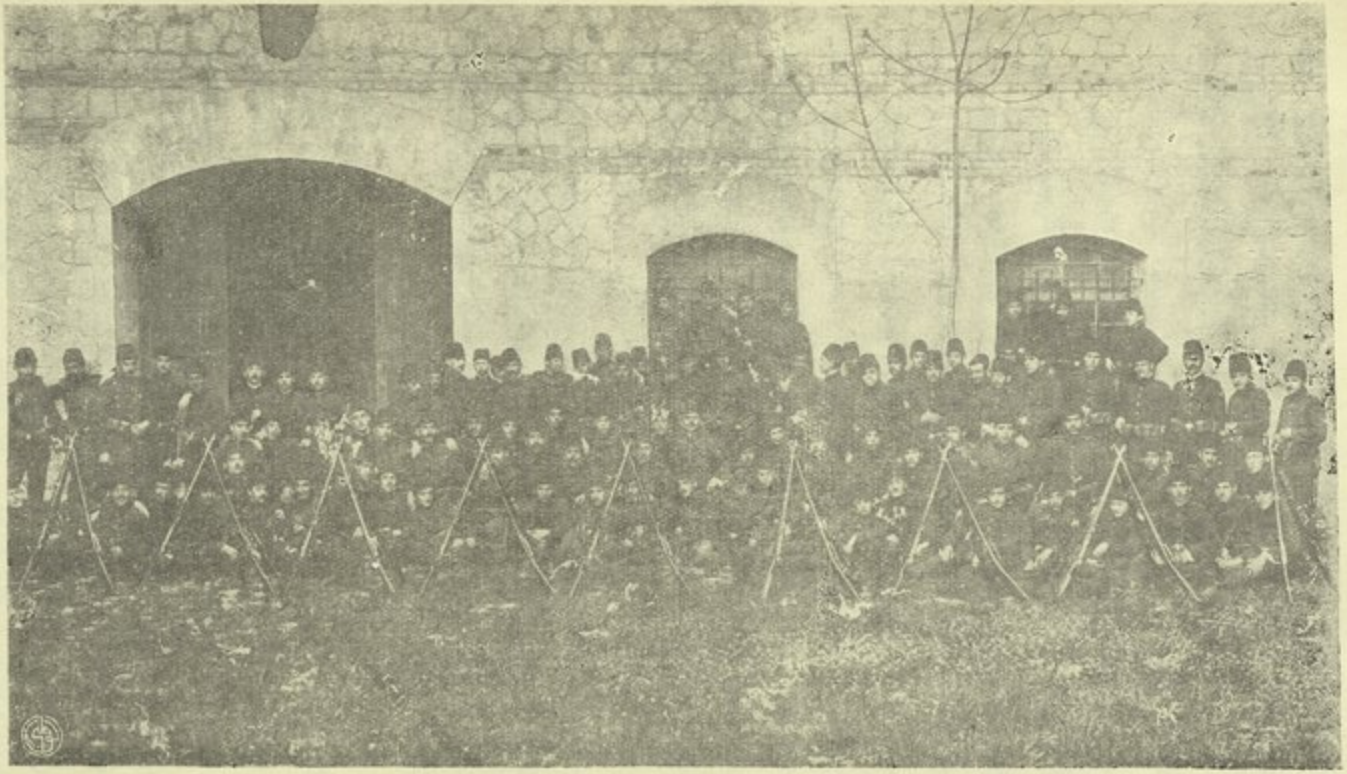

طلاب الصف الاول من المدرسة الطبية العسكرية فى الاستانة سنة ١٩١٢
بعد عودتهم من التدريب العسكرى
(وهو الصف الذى كان فيه الدكتور سامى شوكة تلميذا)

شأن الدولة . الا انه خيب ظنها فى اعماله فقد سار على سياسة شديدة فانكر على الشعب حريته وراح يتصرف تصرفا كيفيا فكان هو الكل بالكل واصبحت كلمته هى القانون وارادته لا تتعداها ارادة ولا يحدها قانون ولا عادة . وقد كانت فى زمنه وزارة الا ان افرادها كانوا اشبه بالوكلاء الشخصيين وكانوا من الناس الذين يحوزون ثقته فقط من دون مراعاة كفايتهم او مبادئهم تجاه خدمة الدولة والى جانب تلك الجماعة المتذبذبة جماعة اخرى من العلماء ورجال الدين واكثرهم من الاميين وصغار الناس ممن ضعفت اخلاقهم ولذا فسرعان ما تقدم الى وظائف الدولة جماعة من المتملقين وممن اتخذوا التجسس واسطة للوصول الى المراكز لذلك فشت الرشوة فعملت على تهديم اركان الدولة وخصوصا عند ما اعتمد السلطان على ذلك النفر من الجواسيس واخذ يثق بكل ما ينقلونه له من الاخبار . والذى زاد فى رواج هذه البضاعة موقف عبدالحميد نفسه فقد كان يؤمن بكل ما يقال له ويتخذ الحيطة ضده لذلك فقد كثرت الاباطيل ونصبت الاشراك ضد كل من تبدو منه حركة بسيطة . وقد تدركون اهمية هذه الاعمال اذا عرفتم ان عبدالحميد لم يكن ليتأخر عن رمى من يوشى به اليه فى البحر او نفيه او القائه فى غياهب السجن . كل ذلك لان عبد الحميد رغم رجحان عقليته وذكائه المفرط كان كثير الوساوس تسلطت عليه الاوهام فاردته صريع تأثيرها حتى ليمكننا ان نقول انه كان مصابا بداء عصبى . ورغم كل هذا كان يميل الى رجال الدين والمشعوذين ظنا منه انه يتمكن بواسطتهم من تخدير افكار رعيته واسكاتهم عما كان يقترفه من جور .

وسط هذا الجو المدلهم بالاستبداد والذى كانت تسوده شخصيات ضعيفة الادارة والاخلاق نمت فئة من الرجال تعلمت العلم الحديث وعرفت معنى العزة القومية والغرور القومى فعملت على نشر فكرتها فى المدارس مرة وفى الاوساط الخاصة اخرى . الا ان رجال تلك الفئة ادركوا بعد ان فهموا الوضع الذى هم فيه صعوبة اصلاح الدولة ما دام عبدالحميد على عرش الخلافة وما دامت سياسته لا تقبل المناقشة ولا التغيير لذا فقد عملوا على تأليف الجمعيات لبث فكرتهم فى كل مكان وليحصلوا على عدد كبير من المناصرين الذين يؤمنون بمبادئهم ويعملون بمشورتهم . وفى واقعة تموز الشهيرة حاول عبدالحميد القضاء عليهم الا ان جيش سلانيك اقتحم استانبول وخلع السلطان واعلن الدستور . كل هذا الانقلاب قامت به فئة صغيرة لا يتجاوز

عددها العشرة تؤلف اللجنة الادارية لجمعية الاتحاد والترقى . الا ان وراءها الالوف ممن يشاطرونها فى الآراء والمبادىء وهم اعضاء فى تلك الجمعية . فمنهم الوزراء والحكام والولاة وغيرهم ممن يشغلون وظائف كبيرة فى الدولة كسعيد حليم وانور وطلعت وجمال وجاويد ونيازى وغيرهم الا ان هذه الزمرة كانت مخلصة فى عملها اذ ان غايتها ان تجعل من الدولة العثمانية المتهدمة الاركان دولة حديثة ثم تعطى للدين مكانته اللائقة به اى ان تفصله عن امور السياسة وهذا لا يعنى انها تقصد تحطيم الخلافة بل ان تجعل من السلطان خليفة دستوريا وتجعل من رعايا الدولة امة عثمانية حديثة وقد بدت مظاهر مشروعهم الاصلاحى هذا فى جميع اعمالهم التى قاموا بها منها الاناشيد التى كانت ترمى الى نبذ النعرات الدينية وعدم التفريق بين مختلف الاجناس فى الدولة .

فى هذه الآونة كثر عدد الشباب التركى الذى درس فى اوربا وعرف معنى القومية وتشرب تلك الروحية . ولكننا لم نجد الا الافراد القلائل من جمعية الاتحاد الذين كانوا يعتقدون بالقومية يقدمون على المجاهرة بها لانهم يصبحون عند ذلك اقلية فى الدولة . ثم ان هذه الفكرة لم تقتصر على افراد قلائل بل اخذت تنمو بسرعة هائلة وسرعان ما تأسست الجمعيات التركية واخذ افرادها يمقتون ويزدرون بكل ما هو ليس بتركى حتى الاسلامية التى بواسطتها يخضع الملايين من المسلمين غير الاتراك لهم ومن تلك الجمعيات « جمعية الوطن التركى » التى كان الانتماء اليها شبه اجبارى حتى ان المدرسين مضطرون لدخولها ثم انتشرت هذه الجمعيات القومية بين طلاب المدارس فكانوا يجتمعون ليلا ويتداولون فى امرهم وكانت لهم مناهج سرية لا يطلع عليها الا من تعتمد عليه السلطات العليا . وكانت دلائل التعصب تبدو على كل حركة من حركاتهم . حتى ان صديقى رشيد غالب (وزير المعارف السابق فى الجمهورية) كان كثير التعصب لدرجة انه عند ما كان يخطب ويجد نفسه مضطرا الى استعمال بعض الكلمات العربية يتحمس فتبدو عليه امارات الغضب لاحتياجه الى كلمة هى ليست من لغة قومه وكذلك الحال عند جماعات اخرى منها محمد صبحى وطلعت وانور ويوسف .... واحمد .... ولكى ابين لكم مقدار تأثر الطلاب الاتراك بالفكرة القومية اذكر لكم اننى كنت فى عام ١٩١١ طالبا فى الطبية فجاءت الى فئة من شبان الاتراك وساءلونى من اين جئت الى استانبول ؟ فقلت من بغداد .

فقالوا : وما جنسك ؟ فقلت : عثمانى • قالوا وهل انت عربى ام تركى ؟ فقلت : انا عثمانى مسلم فانكروا على وجود مثل هذين الاسمين فلم استطع ان اجيب فى ذلك اليوم الا انهم جادلونى وارادوا منى ان اكون تركيا الا اننى لم ادرك فى حينه ما كانوا يرمون اليه لانى كنت فى السابعة عشرة من عمرى • وفى اليوم الثانى جاءنى جماعة من العرب فاخبرتهم بما جرى لى بالامس فحذرونى من الاختلاط بالاتراك • الا اننى رغم كل هذا لم اكن ادرى اى السبيلين اسلك وبقيت مدة طويلة وانا اتعذب وجدانا حتى اهتديت الى انى عربى لى صفات تميزنى عن الاتراك ولى تاريخ مجيد شاده آبائى ويجعلنى افخر بذكراهم • وفهمت بعد ذلك ان التطور الحديث لابد من ان يسير على اسس قومية مهما كان مظهر الدولة التى احتمى بظلها فى ذلك الوقت وهذا معناه ان الدين الاسلامى الذى جاء به العرب وسادت بواسطته الدولة العثمانية لن يعود الا واسطة لاستعباد اصحابه والانكى من هذا وذاك ان الاتراك حاولوا ان يجعلوا من العرب اتراكا وهذا بلاشك امر يقارب المستحيل ان لم يكن هو بعينه • هذا الانقلاب الفكرى الذى طرأ على الشباب التركى الناهض فحوله من عثمانى كان يحاول ان يجمع افراد الديانات والجنسيات المختلفة تحت ظل دولة واحدة الى تركى طورانى يعمل على التنصل عن كل اجنبى علق بلغته ، وثقافته ، ويرجع الى اصله القديم قد احدث رد فعل هائل لدى العناصر الاخرى • فما انتشرت روح القومية عند الاتراك حتى قامت مثلها عند العرب وما شعر به الاتراك من فخر الرجوع الى الماضى الا ولد عند العرب روح التغنى بماضى العرب الزاهر وذكرى الابطال ممن جاهدوا وانتصروا ونشروا راية العرب فى كل واد • فمنذ ذلك الحين افترقنا عربا وتركا حتى فى محيط المدرسة الصغير فتأسست الجمعيات فى المدرسة وخارجها وعمل البارزون منا ومنهم على بث الفكرة وتعزيزها حتى كانت تقوم بين الفئتين مجادلات طويلة تفضى فى كثير من الاحيان الى حماسة شديدة اما اشهر الذين اشتغلوا فى بث الفكرة العربية بيننا فهم رشيد بك الخوجة فقد كان يجمعنا كل يوم خميس فى زاوية احدى المطاعم ويلقننا مبادىء هذه الفكرة المقدسة • ومنهم ايضا داود بك (رئيس الصحة السابق) وعزيز على ونورى وجعفر وجميل المدفعى ويس الهاشمى وطه وفئة اخرى من السوريين منهم سليم الجزائرى الذى حكم عليه بالاعدام لقوله :

لتدم هذى البنية تنمو فتغدو صبية
ازفهـــا لشجاع فلا ترى مسبيـــة

فسألته المحكمة عن « البنية » فقال : انها الامة العربية .

الا ان هذا الانقلاب الروحى الذى بدت ظواهره الاولى بصورة النفرة التى ذكرنا طرفا منها لم تدم ملازمة لشكلها مدة طويلة تحت تأثير التيارات الفكرية الخارجية الا انها اصبحت بصورة مطاليب سياسية كجعل اللغة العربية لغة رسمية فى البلاد العربية اذ لم يكن اكثرنا يعرف حتى القراءة والكتابة بلغته . وان تنظر فى واردات البلاد العربية مجالس محلية فتصرفها على الامور الداخلية وما يتبقى بعد ذلك يرسل الى الاستانة . ثم تعيين الموظفين من العرب اذ انهم كانوا محرومين من اشغال الوظائف حتى ان البلاد العربية كان يحكمها موظفون اتراك لا يعرفون من العربية كلمة واحدة . واذكر لكم فى هذه المناسبة ما حدث مرة فى بغداد وحدث مثله كثير . ذلك ان احد القضاة الاتراك استعمل فراشه الذى يعرف من التركية كلمات معدودة تعلمها طيلة مكثه فى الدائرة ـ ترجمانا فجئى مرة برجل عربى اتهم بالقتل فسأله القاضى : من قاتلمك ؟ فترجم الفراش له : يقول لك البك : هل انت القاتل ؟ فاجاب المتهم متعجبا انا القاتل ؟ فنقل الفراش تلك الكلمات الى سيده عن لسان ذلك المسكين « من قاتلم » وهكذا اصبح البرىء مجرما . ورغم كل ما قام به الاتراك لم يفكر العرب يوما بالانفصال عن الاتراك ولكنهم ارادوا ان ينالوا حقوقهم المغصوبة ويجعلوا من الدولة العثمانية دولة شبيهة بدولة النمسة والمجر . الا ان الاتراك رغم تفوقهم ومقدرتهم فى كثير من النواحى العملية لم يبدوا اى مقدرة فى التفاهم مع العرب لذلك لم يكن امام العربى مجال . فاما ان يقول انه تركى وعند ذلك يهان ويزدرى به واما ان يرجع الى اصله وعند ذاك يبغض وينكر حقه وقد ذهب الاتراك الى اكثر من هذا فى الحط من كرامة العرب ومحاولة التنكيل بهم حتى امروا رجال التعليم عندهم الا يفسحوا المجال امام العرب ليكونوا الاوائل فى صفوفهم حتى ان اخى صائب كان الاول فى صفه ولم يتمكن المدرسون من انقاص درجته فى العلوم فكان لابد من ان يكون اولا . الا انهم خصموا من درجته فى القيافة فصار الثانى . دعونى اعطيكم مثالا آخر فقد كان فى الاستانة كثير من الزنوج وقد كان يسمى احدهم حاجا او عربا فلما اشتد العداء بين العرب والترك اخذوا يطلقون كلمة عربى على كل شىء اسود حتى الكلاب والقطط وقد جرت هذه الى عراك شديد بين الطلاب .

وفى هذه الاثناء قامت حرب البلقان فانتهزها العرب فرصة والفوا هيئات شبه

رسمية لمفاوضة الحكومة وكان منهم الزهراوى واولاد السويدى ولكن موقف الاتراك كان موقف خدعة فاخذوا يماطلون فى الاجابة وذلك ليضربوا العرب الضربة القاضية بعد ان ينهوا مشكلة الحرب وقد جاء جمال السفاح مرة ومعه طلعت محافظ استانبول الى المنتدى الادبى وكلم الاعضاء وبين لهم مقدار حب الاتراك للعرب وانهم اخوة فى الوطن والدين وأكد لهم ان العرب وان حاولوا التنصل من الاتراك فالاخيرون سيتعلقون باذيالهم متوسلين الا ان التصنع قد بدا فى كلامه حتى صرخ به عربى اذ ذاك انه كاذب .

كل ما وقع تقع لائمته على الاتراك لانهم كانوا اصحاب الحل والعقد حينذاك الا انهم لم يشاؤا ان يحلوا القضية بالتى هى احسن حتى عقد المؤتمر العربى فى باريس ثم اقنع الاتراك اعضاءه بالمجيء الى تركيا وعند ذاك اعلنت الحرب العامة واعطى جمال السفاح السلطة التامة فى سورية فبرهن على انه وحشى لا يرحم احدا.

لقد شعر العرب قبل وقوع قنبلة الحرب العامة بوجوب الانضواء الى زعيم عربى يقودهم فى كفاحهم لنيل حقوقهم . الا ان كارثة الحرب قد هاجمتهم قبل ان يتمكنوا من الاستعداد للموقعة الفاصلة وهاجمتهم الحرب قبل ان تنضج الفكرة تماما وقد كان يتمنى ساكن الجنان جلالة الملك فيصل ان يتأخر موعد وقوع الحرب خمسة وعشرين عاما من زمن حدوثها حتى تنضج الفكرة القومية عند ذاك ويصبح من السهل الانفصال وتكوين دولة عربية كبرى . الا انه كانت الحرب وكان للعرب ان يستفيدوا من هذه الفرصة السانحة ولاسيما عند ما قر رأى الاتراك على القضاء على الفكرة العربية وقد ظهر قبل الحرب بقليل كتاب اسمه « قوم جديد » يحض الاتراك على تحطيم كل ما هو عربى حتى اسماء محمد والصحابة فى المساجد وابدالها باسماء جنكيز وهولاكو وغيرهما من المغول ويذهب مؤلفه الى حد القول بان فعل الحصان التركى فى ساحة الحرب لهو اشرف من كل شيء عربى حتى النبى . وكنت بين الاوائل الذين اطلعوا على هذا الكتاب فذهبت به توا الى المنتدى الادبى وقدمته الى بعض رجاله فاحتجوا لدى السلطات العليا فصودر الكتاب .

وفى آونة الحرب كان جمال باشا قد قطع آخر خيط يربط العرب بالترك فى عالية لذلك فقد اتجهت الافكار العربية الى ناحية العمل على انقاذ انفسهم من الورطة التى وقعوا فيها فهم امام اعداء من الاتراك ان انتصروا فى الحرب كان انتقامهم شديدا وان فشلوا فالبلاد العربية تصبح نهبا بيد الحلفاء ويعامل اعداء مفتتحين . ففكر زعماء

العرب قليلا فى القضية فرأوا ان فشل الحلفاء فى اقناع تركيا بعدم دخول الحرب لابد من ان يدفع بهم الى مفاوضة العرب وطلب التحالف معهم وهذا ما كان . فوجدوا ان من الحكمة الانضمام الى جانب الحلفاء الذين لابد من ان ينتصروا وعند ذاك يدخلون بلاد العرب اصدقاء لا فاتحين منتقمين يملون ارادتهم كما يشاؤن . نعم ما فكر به الزعماء حينذاك ويا ما اعظم تلك الطلقة الاولى التى اطلقها الشريف حسين معلنا ثورة العرب معلنا الساعة التى فضلوا فيها الموت على الحياة فى سبيل الحق ولقد كان اولئك المجاهدون من العراقيين والسوريين وجند الحجاز . وقد كان ضباط العراق اصحاب القدح المعلى فى تلك الثورة فلم يكن فى الحجاز ضباط ولا اداريون فهم الذين قاموا بكل ذلك حتى اضطر الشريف حسين الى طلب معونة بعض الضباط الاتراك . ورغم كل ما كان يحيط بالثورة من مصاعب وعراقيل فقد قامت الثورة باعمال شريفة مجيدة . وقد انضم اسرى العرب لدى الحلفاء الى صفوف الجهاد العربى وفى مقدمتهم رجال حكومتنا .

فالامة العربية رغم كل حقوقها المشروعة لم تستطع ان تجد القوة التى تسند حقها . فالقوة الضئيلة التى كونتها استطاعت ان تؤمن حقا بسيطا لا نكتفى به . وليس لنا ان نوجه لومنا الى اى رجل اشترك بالثورة فالمؤلفات والجرائد لم تنصف الملك حسين فى اخلاصه فلم يكن كما يقولون يخزن الذهب اذ انه عند ما انتقل الى رحمة ربه طلبوا ماءتى دينار من المرحوم الملك فيصل ثمنا لتكفينه . ولقد كان مجاهدا فى سبيل وحدة عربية تامة لذا فانه رفض قبول معاهدة عرضتها انكلترة تعترف له فيها بدولة عربية هو ملكيها لم تكن فلسطين جزأ منها . على اننا لا ننكر ان حسينا قد اخطأ فى بعض المواقف الا انه كان مخلصا شديد الاخلاص عظيم الوطنية عاملا على حفظ كرامة العرب .

فيجب علينا ان نترك التشكى والتظلم فلن تجدينا هذه الامور شيئا وما هى الا سلاح العاجز فالرجل الحقيقى يتجرع الالم بصبر ثم يعمل ليضرب الضربة القاضية . وعلينا بالقوة قبل كل شىء وفى كل شىء ، القوة فى الاخلاق الفاضلة المتينة القوة القوة فى حب الوطن كما يعشق الولهان عشيقته فمن مظاهر هـذا الحب التجنيد الاجبارى اذ لو بلغ مجموع الجيش العراقى العدد الذى تنشده لما كانت حوادث فلسطين ولما تطاولت دولة اجنبية على العراق وناقشته .

وبالختام يجب ان نؤمن ايمانا حقا بان ستكون لنا امة عربية واحدة مستقلة رغم كل العراقيل التى تجابهنا .

عناصر تكوين الامة (*)

الروح القومي

هو العامل الوحيد في هذا التكوين

———:o:———

ان القومية لغة وعقيدة قبل كل شيء . وكل امة تريد النهوض والرفعة والتبسط تفسح المجال بجميع الوسائل المرغبة المشوقة لدمج الاقليات فى بلادها بقوميتها والا فتبقى مشتتة فى سياستها الداخلية ، واهنة القوى فى سياستها الخارجية ، فالامة العربية التى تباهى اليوم بسعة رقعة اوطانها وبكثافة نفوسها التى تبلغ زهاء الثمانين مليون نسمة لم تكن نتيجة تناسل وتوالد الملايين الخمسة من الحجازيين واليمانيين الذين خرجوا من جنوبى الجزيرة تحت راية الاسلام والعروبة حينما نفخ فى صور نهضة امته محمد « صلى الله عليه وسلم » وانما تتألف اكثرية هذه الملايين ولاشك من الامم غير العربية التى اندمجت بامة محمد العربية وقبلت لغتها وثقافتها ، واصبحت عربية بمرور الزمان لما وجدته فى هذه الامة من الصفات الحميدة والمزايا الكريمة التى تحبب اليها الغريب وتقرب منها الاقلية حتى تدمجها فيها فتنسيها لغتها الاصلية وثقافتها القديمة .

نشرت جريدة العراق هذا المقال ومهدت له بقولها :

(*) ان كاتب هذا المقال اديب واسع العلم . بعيد التفكير . وهو فوق ذلك وطنى مخلص فى وطنيته ، وعربى قومى شديد التمسك بقوميته ، كما انه مسلم قوى الايمان فى اسلامه . كتب هذا المقال وعالجه بهذه الحنكة وهذه المقدرة . ودعمه بهذه الحجج الدامغة والبراهين الساطعة ليكون درسا ناجعا وعظة بالغة للذين يطرقون هذه المواضيع وهم غير مزودين بالاطلاع الوافى عليها فيشتطون عن الحقيقة ويندفعون فى تعليلها تعليلا بعيدا عن الصواب ، خارجا عن محجة الحق .

ان العثمانيين الذين حكموا باسم الخلافة ـ كما حكم العرب ـ كانت امبراطوريتهم تتكون فى بعض ادوار التاريخ مما لا يقل عن ٥٠ او ٦٠ مليون نسمة . وحكموا هذه الملايين العديدة عصورا ، ولكنهم لم يستطيعوا تتريك احد من الذين حكموهم . غير انه حين تقلص ظل حكمهم وجدنا الامة التركية ترجع الى ما كانت عليه وتتقلص قوميتها فى بقعة الاناضول التى لا تزيد نفوسها عن الخمسة عشر مليون نسمة اكثر من ثلثها غير تركى مما اضطر الحكومة الكمالية الى تتريكه بعد الحرب العامة ولا تزال تجابه الصعوبات الجسام فى ذلك وكذلك الامر فى الامة الفارسية التى تقلصت نفوسها الى الملايين الخمسة بعد ان أسست امبراطوريات زادت نفوسها على عشرات الملايين وما تبقى من نفوس ايران هو غير فارسى كما هو معلوم وتسعى ايضا كتركية لتمثيله بكل جهد ولم يتأكد نجاحهما فى هذا المضمار حتى الآن بينما نجد ان العرب قد عربوا الهلال الخصيب من العراق الى الجزيرة وسورية وفلسطين وكذلك مصر وطرابلس الغرب وتونس والجزائر وفاس ومراكش وشمالى افريقية كافة ولو لم تحدث المنازعات الداخلية بين افرادها ، ويتقلص ظلهم قبل الاوان عن الهند والاناضول وفارس ، ولو لم يقف شارل مارتل امبراطور الافرنسيين فى بواتيه امام جيوش عبد الرحمن الغافقى لكانت الارض اليوم غير الارض ، ولكنا ـ كما قال المستشرق مارغليوث وغيره من اعاظم المفكرين والمؤرخين الاوربيين نسمع تلاوة القرآن الكريم وسيادة لغة العرب فى جامعات اوكسفورد وكمبردج ، وباريس وليون وروما . فكل امة من هذه الامم الثلاث الترك والفرس والعرب امم اسلامية وهى كونت امبراطوريات ، ولكن الفرق نجده شاسعا وواضحا جدا فى اساليب الحكم ، وقوة التمثيل ، وقدرة جذب ميول الغريب وادخاله الى حظيرة الامة الحاكمة ودمجه بها وتمثيله فيها . فالحكم العربى كان حكما محبوبا بخلاف غيره الذى لم تكن له تلك الصفة . ان تعرب الاقطار التى حكمها العرب دليل على ما يحتويه الحكم العربى من جاذبية وحب فى قلوب الامم المحكومة والسبب واضح كما تعلمون ، ويرجع الى ما فطر عليه الطبع العربى من تسامح وعفو عند المقدرة ومن كرم ونبل وشهامة وحب للعدل ، وبعد عن الظلم ، وحب الخير للناس .

ولو حللنا صفات الامة الالمانية ـ مثلا ـ والامة الانكليزية ، لوجدنا بينهما من الفروق ما نجده بين غيرهما من الامم ، وما ذلك الا من سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ثم علينا ان نوقن تمام اليقين ان عصرنا هذا هو عصر قوميات وليس بعصر اديان . ولو يستطاع بناء دول على اساس الدين فاوروبة المسيحية اولى من كل احد بتأسيس دولة مسيحية اوروبية واحدة على أسسه واكتساح العالم كله بمئات الملايين من نفوسها وبثروتها وعلومها وجيوشها التى لا يقف امامها اى جيش على وجه الكرة الارضية اذا ما توحدت واصبحت دولة مسيحية واحدة تظلل رايتها اوروبة قاطبة . تسألوننى لماذا لم تكن المسيحية هذه الدولة الجبارة وامامها الدنيا باجمعها فتستولى عليها ، فلا تبقى يابان ولا صين ولا شرق قريب ولا بعيد ؟

فهذا هو بيت القصيد . نعم لماذا تغفل اوروبة وهى مركز العقل الجبار والعلم والاختراع والقوة فى العالم قاطبة هذه الصفقة الجسيمة التى ليس ورائها جسامة ، وتنحرف عن سلوك الطريق الدينى الذى يمهد لها امتلاك العالم باسره ؟ السبب ظاهر وبسيط جدا . وهو ما تركزه القومية فى نفوس ابنائها من صفات وخلق ومزايا واذواق ، ومشاعر تفرق ما بين امة واخرى فى كل شؤون الحياة البيتية والفردية والعائلية والاجتماعية . وفى مقدمة ذلك اختلاف اللغة التى هى العلم الخفاق للقومية ، فالدين اذا كان قد قارب بين البشر فى العبادة وفى بعض الطقوس والشرائع الدنيوية ، فانه بقى غير قادر على توحيد الالسن والطباع والاخلاق التى هى صفات القومية . ومن هنا سمت الرابطة القومية على الرابطة الدينية . واصبحت المحور السياسى والركن المتين الذى تستند اليه روحية انشاء الدول وادارة دفة سياساتها . فبقدر عدم تمكن الانكليزى البروتستانتى من التزاوج بالصينية البروتستانية وتكوين عائلة سعيدة بها نظرا لاختلاف الاذواق والامزجة والطباع بصرف النظر عن اللغة ، هكذا المسلم العربى ليس باستطاعته ان يكون بتزوجه من صينية مسلمة عائلة سعيدة للاسباب نفسها بينما المسلم العربى باستطاعته وبكل سهولة ان يكون عائلة سعيدة عند تزوجه من مسيحية عربية لوحدة الميول والطباع والامزجة وبهذه السهولة يمكن للانكليزى المسلم او الانكليزى اليهودى ان يبنى كيان عائلة سعيدة بتزوجه من انكليزية بروتستنتية . اما سبب هذه الفروق فى الميول والامزجة التى تتناول حتى اللباس والطعام والتأثيث وآداب الاجتماع ، بما فيها الادب ، والشعر ، والموسيقى وسوى ذلك من مقومات الحياة الفردية والعائلية والاجتماعية فهو بالدرجة الاولى يعود الى المناخ والطقوس الطبيعية للاقطار التى تسكنها هذه الاقوام التى توحد نفوسهم هذه الميول علاوة على

توحيدها حتى اشكال الاجسام ولون البشرة والابعاد الهندسية للهيكل العظمى بمرور الاجيال والقرون .

وتأتى بالدرجة الثانية وحدة الثقافة والتربية التى تساعد على هذا التوحيد والاندماج فترون من ذلك كله ان قوة العقيدة الدينية وحدها تبقى ضعيفة وعاجزة تجاه القوى العديدة الادبية والمادية التى تتمتع بها القومية . وهى بلاشك بضعفها هذا تنهزم امام القومية فتسيطر القومية عليها فى ميادين السياسة وتكوين الدول . على ما نراه الآن وما دلك عليه التاريخ .

ومن اجل دلك فقط نجد اوروبة المسيحية على الاطلاق لا تستطيع تكوين دولة مسيحية واحدة على الرغم من ان امامها الدنيا كلها تستطيع ان توحدت ان تمتلكها باجمعها ومن اجل ذلك نجد (البابا) فى رومة بكل نفوذه ، وجلال قدره وسمو منزلته لا يلتفت اليه احد من الوجهة السياسية .

فاذا كانت اوربة وباستطاعتها امتلاك الدنيا كلها عاجزة بناء على الاسباب الجوهرية التى بسطناها آنفا عن تأسيس دولة واحدة على الرغم من تمتعها بكل هذا العقل والدهاء والقوى المادية والمعنوية التى ان توحدت فليس على وجه الارض قوة مهما كبرت او سمت تستطيع الوقوف امامها ولو بضعة اسابيع فكيف يطلب من الامم الاسلامية ان تتوحد وتؤلف دولة واحدة وهى بهذا الضعف والهزال والجهل والتقهقر بالنسبة للامم الاوروبية ، وكيف يستساغ بعد كل هذه الحقائق فسح المجال لبث دعوة ترمى الى اعادة الخلافة التى ليس لها اى مسند سياسى وجوهر حقيقى دولى يستطاع الاستناد اليه فى تحقيق ايجادها مع العلم ان الاديان السماوية كلها مقدسة لا ريب فى ذلك بنظر كل رجل عاقل ، وان افساح اى مجال لزعزعتها والهزء بها انما هو بصرف النظر عن كونه ممقوتا ومردودا فهو خطر يأتى بنتائج ضارة جدا للمجتمع ، اذ بها وحدها تقام مناثر الاخلاق الفاضلة فى المجتمع وبها وحدها تصاغ روحية الفرد على الخلق الكريم الفاضل ، كما هى الرادع للفرد والمجتمع عن التدهور فى بؤرة الفساد والرذائل النفسية والخلقية ، كما انها وحدها تعمل على سعادة الروح والضمير ، وهى الركن الركين الذى تلجأ اليه النفوس البشرية التى لا يمكن ان تخلو نفس منها من شقاء هذه الدنيا عند اشتداد الآلام واستيلاء اليأس لدى نهاية الحياة .

فالدين نظام اجتماعى ما تزلزل فى امة الا تزلزلت اخلاقها وتدهورت نفوسها من العلياء الى الحضيض • ولكن من الضرورى ان يبقى خارج نطق السياسة وشؤون الدولة العامة ومن اجل ذلك نجد كثيرا من الدول وفى مقدمتها (تركية) المسلمة وفرنسة الكاثوليكية اللتان وضعتا مادة خاصه فى قانونيهما الاساسيين تنصان على ان دولتيهما دينيتان اى ليس لهما دين رسمى ونجد من الناحية الاخرى ان الدول العصرية كافة لا تفسح المجال لتدخل الدين فى السياسة وهى تسن لذلك القوانين وتصدر الاوامر المشددة بتنفيذها • •

• • • •

عناصر القومية الحقة (*)

———:o:———

اذا كانت جميع الادلة والبراهين الماضية والحاضرة تبرهن على ان المستقبل للمبدأ القومي من حيث انه مبدأ طبيعي يستمد حيويته من اللغة والدم والطباع والثقافة ووحدة الميول والتاريخ وكلها من آثار البيئة والمحيط بما فيهما الشمس والهواء والتربة والماء وهي دوافع ليس هنا مجال لمناقشتها والمناضرة فيما تتمتع به من قوة الربط والدمج بين الافراد والعائلات والمدن ثم البلاد والدول ، واذا كان المبدأ القومي هو البسملة في منهاج اسعاد كل فرد من افراد الامة باقصى ما يمكن من السعادة المادية والادبية من دون تفريق بين الطبقات الاجتماعية ومن دون تمييز بين الاديان والمذاهب السماوية ـ لا الارضية ـ اذ ان المبدأ القومي عدو لدود لكثير من المذاهب السياسية الاجتماعية الارضية كما تعلمون ـ واذا كان المبدأ القومي يقضي لتأمين السعادة العامة الشاملة ازالة الفروق في اللغة والميول والاخلاق والطباع والعادات في مجتمعه لقبول لغة واحدة واخلاق وعادات وميول واحدة واذا كانت ازالة هذه الفروق لا تتهيأ الا بقوتين قوة الاذابة والامتصاص من جهة او الاستعداد للذوبان والتمثل من الجهة الثانية حق لنا ان نتكهن ونتوقع ان الكرة الارضية ستكون في مستقبل لا يتجاوز العصر الواحد ملكا للامم الكبيرة ، الكبيرة بعددها ، الكبيرة بلغتها والكبيرة بثقافتها والكبيرة باخلاقها وحسن تصرفها وحين اقول الكبيرة بعددها اقصد تلك الامم التي تربو نفوسها على الخمسين مليون نسمة اما ما ستحويه هذه الكتل الكبيرة من مجموعات لغوية وعنصرية صغيرة فلتأمين السعادة العامة الشاملة ستتوفر لديها بمرور الزمن وبفضل التنظيمات والتشكيلات السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية القومية الاستعداد التام للذوبان في بوتقة الجامعة العامة ليكون لها المجال الحر الطلق الواسع في التمتع والتلذذ والاستطابة بما سيصف على موائد هذه الجامعة من كل ما لذ وطاب مما تشتهي الانفس وتسر الاعين الامر الذي سيثير شهوة كل من يريد ان يكون له نصيب وافر في هذه المائدة العامرة بالوان اطايب الحياة .

(*) القيت في حفلة تكريم اقيمت في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩٣٨ لوفد النادي العربي الدمشقي حضرها نخبة صالحة من رجال القومية والمعارف والسياسة في بغداد .

اعضاء وفد النادى العربى الدمشقى بين رهط من رجال القومية والمعارف عقيب احتفال
تكريمى اقيم لهم فى دار المعلمين الابتدائية فى بغداد يوم ٢٣ تشرين الثانى ١٩٣٨

من نحن ؟ نحن عرب ، من هم العرب ؟ هم فرع من الدوحة السامية ، من هم الساميون ؟ هم تلك القبائل والافخاذ .. والسلالات التى شاءت القدرة الآلهية ان تكون مهبطها شبه جزيرة العرب ، خرجوا بقيادة زعماء قبائل رحل من اجواف هذه الجزيرة المقدسة فزحفوا نحو الهلال الخصيب شرقا وغربا فساحت جموع منهم نحو افريقيا وصعدت اخرى الى الشمال فى فترات من العصور تتباعد حينا وتتقارب احيانا تحت تأثيرات وعوامل شتى ربما تكون حربية او سياسية او اجتماعية او طبيعية فاقاموا بعد خروجهم اول مرسح فوق هذه الكرة الارضية لتمثيل روايات تأسيس الدول وتنظيم الجيوش وبناء المدن وسن القوانين ووضع شرائع الحق والعدل واختراع حروف القراءة والكتابة والارقام الحسابية واصول التجارة وقواعد النقد والعملة واسس علوم الهندسة والطب والفلك والنبات والحيوان والرى ، فساطعنا الحصرى حمل تمثال مسلة حمورابى من باريس الى دار المتحف العراقى فى بغداد ومن اسعده حظه ورآها فسيجد انه سطر عليها دستور مملكة بابل والكلدانيين السامية يحتوى هذا الدستور على مواد أيد اكثرها العصر الحاضر والوحى الالهى بكتبه المقدسة ومن جملتها العين بالعين والسن بالسن والجروح قصاص .

فالكلدانيون والآشوريون فى العراق والفينيقيون فى سورية والحميريون فى اليمن والفراعنة فى مصر والقرطاجيون فى افريقيا هم كلهم ساميون وكلهم خرجوا من هذه الرمال الطاهرة الزكية وهذه الصحراء التى هى مهبط آبائنا واجدادنا فكل من هذه الاغصان والفروع آتت ثمرها ومن ثم ذوت وماتت او تركت غصنا صغيرا لاصقا بالأم الا الغصن العربى فانه نما بعد ظهور اغر واكرم واقدس ابنائه « محمد » ونما حتى تفيأ بظله كل ما كان سابقا ملكا للفروع السامية فاندمجت عندئذ تلك الفروع كلها عربا وينبغى ان تكون كلها عربا . اذ تقضى بذلك المنافع المقدسة العليا للامة العربية باستثناء فرع واحد من الدوحة السامية اخرت ذكر اسمه وهو فرع الاسرائيليين اذ انه يالأسف كان من الضالين فشذ عن طريق سلالته وراح يعادى دوحته وهو فرع منها فصار يستغل ما رزقه الله من ثروة وقوة ماليـة فى العالم لايقاع الضرر بالمجموعة التى ينتسب اليهـا ولو هـداه الله ووهبه نظرا سياسيا بعيدا كنظره فى المال والاقتصاد لسعى مع ابناء عرقه العرب لتكوين الامبراطورية العربية ولا ندمج بأمته ورجع اليهـا واستعرب كما كان عليه الكلدانيون وغيرهم من الساميين ولترك الاشتغال بامر عقيم ليس من ورائه غير الضرر عليه وعلى العرب وعندئذ كنا نقطع

الشوط فى اعادة تكوين امبراطوريتنا بقوة وسرعة اكثر .

واذا كان لعدد النفوس وقوتها المادية والأدبية فى الامم المحل الارفع فى تكوين الدول فالعراق الذى تبلغ مساحته السطحية (٤٥٣/٥٠٠) من الكيلومترات المربعة باستطاعته اذا سار السيرة الراضية ان شاء الله ان يستوعب ويعيل بكل رفاه فوق كل كيلومتر من اراضيه مائة نسمة وهو نصف العدد الذى يعيش فوق كل كيلومتر من بريطانيا العظمى فتبلغ عندئذ نفوسه خمسة واربعين مليون نسمة بينما الان لا يوجد فوق كل كيلومتر من اراضيه اكثر من (١١) نسمة اذ ان نفوسه لا تتجاوز الخمسة ملايين واذا كانت زيادة نفوس العراق سنويا اقل من مئة الف نسمة فمصر تزداد نفوسها كل ثلاث سنين مليون نسمة وبعد التقدم المنتظر فى تشكيلات العراق الثقافية والاقتصادية والصحية بالاستطاعة بعد مدة وجيزة جعل العراق يزداد سنويا مائتى الف نسمة بدلا من اقل من مائة الف وهكذا بعد عشرات قليلة من السنين نستطيع ان ندعم كياننا القومى فى العراق وحده ونجعله دولة من دول الدرجة الوسطى قوة ومناعة وقوة شكيمة الا اننا يجب ان لا نغفل لحظة واحدة عن انه اذا كان لتكاثر النسل وازدياد النفوس اعداء الداء ونعنى بذلك المرض والجهل والفقر فانهنالك اعداء اشد فتكا من هؤلاء لكياننا الروحى والقومى فكما اننى بصفتى مسؤولا عن الصحة العامة فى العراق اقوم بتشخيص ومكافحة الامراض فعلى كل فرد منكم ان يشخص الاعداء الذين يدخلون ضمن اختصاصه وشمول نفوذه فيكافحهم كما يكافح الطبيب المرض والميكروب ونهضتنا الحقيقية لا يبزغ فجرها الساطع القوى الا فى اليوم الذى تتوحد فيه مناهج مكافحة الاعداء فى كافة الاقطار العربية . والجسم المريض ليس باستطاعته النهوض واذا قدر له ان ينهض فنهضته تكون عادة ضعيفة ومرتعشة لا تقوى على السير والصعود وتسلق قمم المجد الوعرة الصعبة المرتقى والمنال ولهذه الاسباب ينبغى علينا ان نضع اول مادة فى منهج وميثاق نهوضنا غايتها التخلص مما اثر فى جسم وكيان امتنا من امراض سواء أكانت صحية ام اجتماعية ام روحية ام نفسية . وان اكثر هذه الامراض انما يولدها فينا اعداؤنا وهم الجراثيم فى مجتمعنا يبثون فيه سمومهم ودعايتهم ضد المبدأ القومى فما لم نشخص اعداءنا ونكافحهم فلا نستطيع التخلص من امراضنا ومالم نتخلص من امراضنا فليس هناك نهضة جبارة حقيقية . هذا واخيرا اقول اهلا وسهلا باشقائنا وبابناء مهبط الشعر والخيال ومرتع الحب والفن والجمال سورية الشقيقة العزيزة الحبيبة .

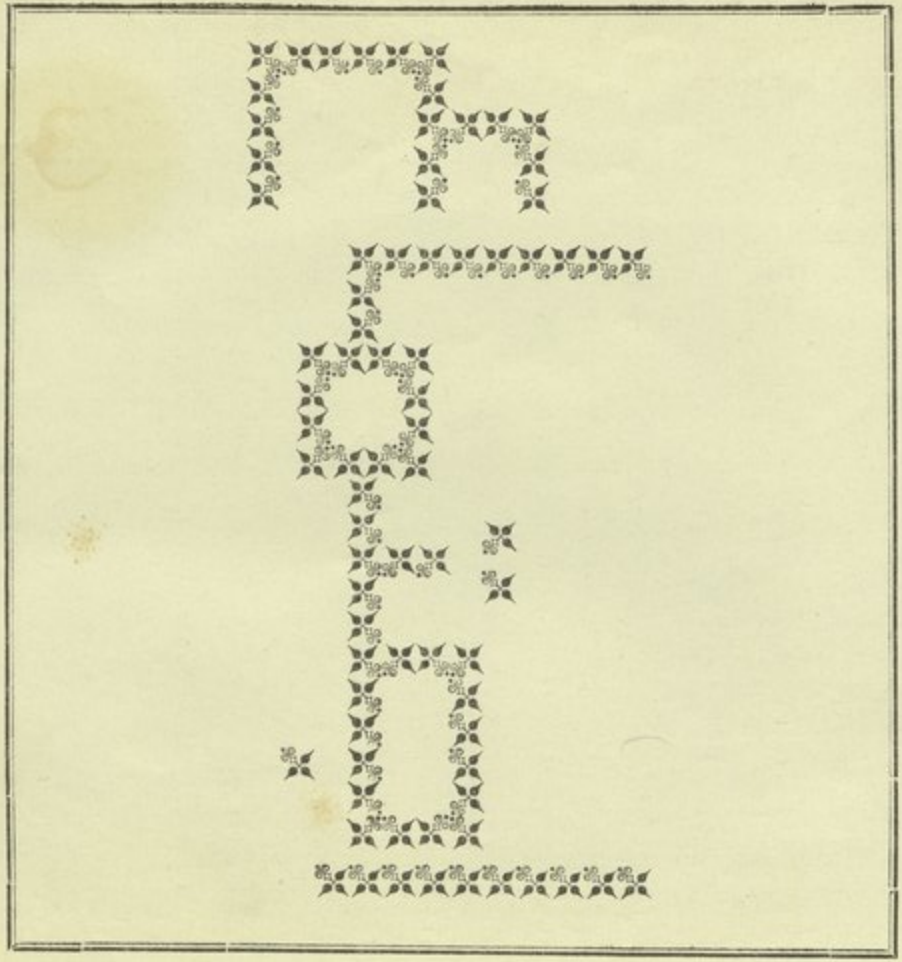

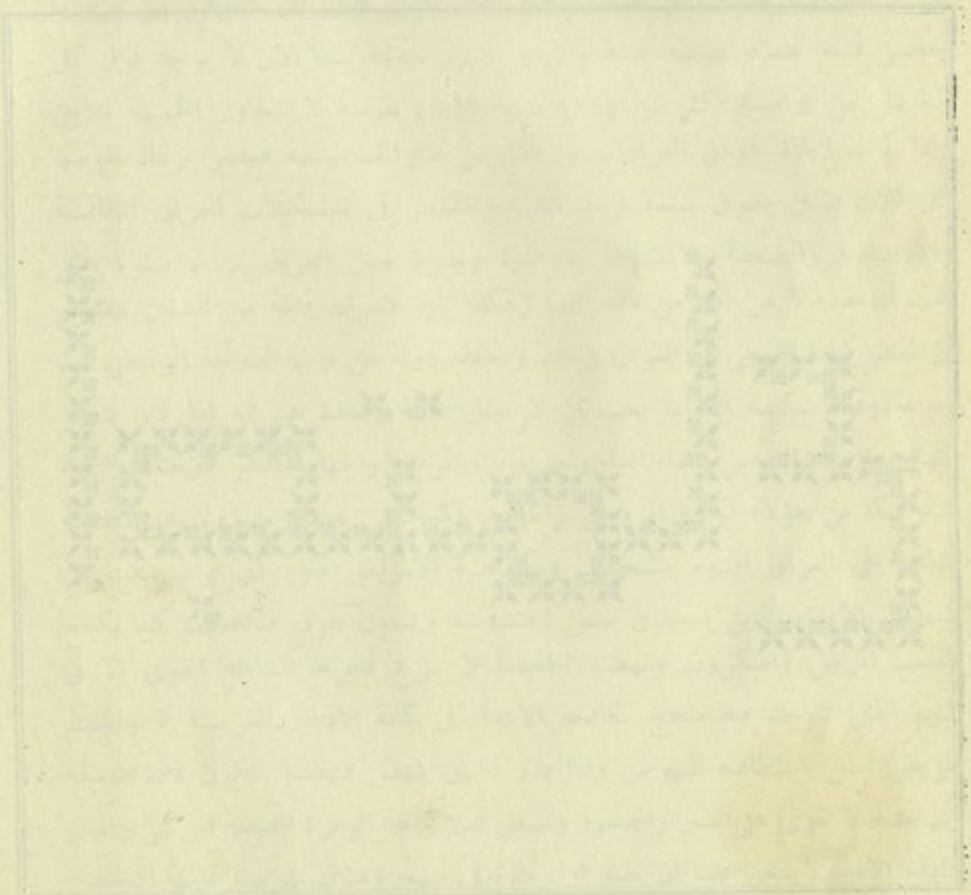

المجتمع العربى من جهة اخرى قبل ١٤ قرنا ان اللغة العربية هذه التى نظمت فيها المعلقات ونزل فيها القرآن هى ليست من نتاج المجتمع العربى الضعيف فى ذلك الوقت وانما هى من انتاج مجتمع عربى قوى جبار غنى فى مادته غنى فى آدابه الى درجة لا تقل غناء وقوة وتفكيرا ومدارك عن المجتمعات المدنية الراقية فى القرن العشرين هذا حتى تمكن بها فى حينه من انتاج لغة تسابق فى ثرائها لغة هذه المجتمعات الاوربية حتى فى هذا القرن . ويقول كما ان اهرامات مصر وقبورها وبقايا مدن الرومان واليونان وما تحويه من آثار صناعية وفنون راقية يبرهن لنا على المنزلة السامية التى كانت لهذه الامم فى ميادين العلم والفنون والمدنية فكذلك اللغة وما فيها من ثروة ادبية وعقلية تكشف لنا ما كانت عليه الامة من تقدم وعمران وقوة وثروة .

ومن هنا راح المؤرخ يتغلغل فى عصور التاريخ الى ما قبل نزول القرآن وتأليف المعلقات حتى وصل فى هذا الى ما قبل الادوار التاريخية المدونة فوجد مستندات اثرية وعثر على حقائق علمية ذكر تفاصيلها ومصادرها فى تاريخه ايدت له ان هذه الجزيرة العربية قبل نيف وعشرة آلاف سنة لم تكن قفراء بلقعا تسفى فيها الرمال كما هى حالتها الآن انما وجد كل ما برهن له على انها كانت ذات انهار وبحيرات وغابات وبساتين ومدن وقرى مكتظة بملايين الناس وطرق تجارية وحقول يانعة تمتد حتى الآفاق مما يسر الناظرين ومما يلفت النظر ان المستر فيلبى فى رحلته التى قام بها الى الربع الخالى من جزيرة العرب قبل اكثر من عشر سنوات قد ايد ما ذهب اليه المؤرخ الايطالى المشار اليه الاستاذ كيتانى حيث عثر على آثار مدن وسواحل لبحيرات عظيمة جافة وآثار طرق معبدة ومستحدثات لحيوانات بالية وعظام حيوانات وقواقع لا تعيش الا فى المياه او على السواحل وتحت ظلال اشجار باسقة وغابات وبساتين وارفة قد طمت عليها امواج الرمال ودفنتها بين طياتها منذ آلاف السنين .

فيقول كيتانى اذا كان غناء اللغة العربية حين نزول القرآن وتأليف المعلقات لا يمكن ان يولد من فقر المجتمع العربى فى ذلك الحين فما المانع عندنا من ان نعطف هذه الثروة فى اللغة الى تلك الثروة فى المدنية التى تبرهن لنا المستندات التاريخية والعلمية وجودها فى جزيرة العرب قبل نيف وعشرة آلاف سنة ثم يقول ان علم الجيولوجيا « طبقات الارض » يبرهن لنا من الجهة الثانية ان الكرة الارضية قد مرت باربعة ادوار جليدية آخرها قد انتهى دوره قبل الآن بنحو عشرة آلاف سنة كما ان هذا العلم نفسه يقول : ان الجليد كان يغطى اكثر اقسام اوربا الشمالية

والوسطى وما كان يذوب منه كان ينحدر سيولا وانهارا نحو آسيا الصغرى والهلال الخصيب ومنه الى جزيرة العرب فالطقس عندها كان انجماديا وشديد البرد فى كافة اوربا وباردا معدلا فى الجزيرة العربية وقليل الحرارة فى مناطق خط الاستواء فجزيرة العرب عند ذاك كان طقسها كطقس جنوبى اوربا وبلاد البلقان فى الوقت الحاضر وكانت تزخر بالانهار والينابيع المتدفقة وكثرة الامطار بطبيعة الحال . كما ان الفلكيين يعللون اسباب الادوار الجليدية التى مرت على الارض بدخول المنظومة الشمسية بكاملها اثناء دورانها فى الفضاء العام فى سحب من السدم كالغيوم العظيمة التى لا نهاية لها والتى تحول دون وصول اشعة الشمس الى الارض بصورة قوية وتستمر داخل هذه السدم عصورا طويلة الامر الذى يولد هذه الادوار الجليدية فيتجمد على اثرها اكثر من نصفى الكرة الارضية الشمالى والجنوبى ولا يبقى فيها قابلا للسكنى سوى القسم الحار منها الآن والذى هو قريب لخط الاستواء فتزدهر عندها ولاشك المدنية وتكتظ مناطق خط الاستواء بالسكان فى كل دور جليدى فيذهب الاستاذ كيتانى فى تعليلاته هذه فيقول عندما انتهى الدور الجليدى الرابع وجفت انهار وبحيرات الجزيرة العربية صارت الامواج العربية تصعد شمالا نحو الهلال الخصيب تخلصا من الجفاف وارتيادا للكلأ والمراعى فكونت تدريجيا دول الهلال الخصيب وشمال افريقيا السامية من آشورية وكلدانية وفينيقية وفرعونية وبمرور العصور الطويلة انحرفت لغات هذه الامواج عن لغتها الاصلية وكونت لغات هذه الامبراطوريات الجديدة التى هى فى الاصل عربية . اما اللغة العربية نفسها فظلت سليمة فى جنوب الجزيرة العربية حيث كانت لغة اليمن ونجد والحجاز وسائر القبائل العربية فى قلب الجزيرة وظلت تتداولها السن الشعراء والفصحاء والادباء رغم ضياع ثروة البلاد على اثر الجفاف وزوال المدن العامرة والقرى الغنية .

هذه هى خلاصة نظرية المؤرخ الايطالى (مارينى ـ كيتانى) فى اسباب عظمة اللغة العربية وقوتها رغم ما هى عليه الجزيرة العربية من جفاف وضعف فى الموارد الاقتصادية وهى نظرية تستند الى حقائق علمية يؤيدها علماء الآثار والاخصائيون فى طبقات الارض وقد يكون فى المستقبل عندما تشتغل يد الفن والعلم فى كشف كنوز الجزيرة العربية التاريخية التى لم تزل بكرا والتى لم تمسها اى يد مكتشف يلقى ضوء اقوى على هذه الحقائق فتنور لنا طرق الدرس والتنقيب التى لا يستبعد ان تكشف لنا عن حقائق رائعة تجهلها الامة ويجهلها العلم .

القرية الناهضة (*)

———:o:———

لا مجتمع ناهض من دون قرية ناهضة . فنواة الدولة هى القرية فمنها يأخذ الجيش جنوده ومن بساتينها تستورد اسواق المدن فواكهها ومن تربتها المباركة تتغذى المدن بالحبوب واللحوم ومنتجاتها فبتقهقر القرية تتقهقر المدن وبتقهقر المدن تتقهقر الدولة وبذلك يضمحل المجتمع وتفنى الامة . ما من امة نهضت الا كانت اول مهمة زعمائها بعد الاستقرار انماء القرية فانتم الذين غذتكم الدولة وانفقت عليكم وثقفتكم وربتكم طيلة سنين طويلة فى دور ثقافتها ما هيئتكم وصنعت منكم معلمين الا لتكونوا مصابيح نورها ورسل انهاضها للقرية العراقية لتنيروا سبل سعادتها وترشدوها الى الطريق الصالح السوى . ستصدر الاوامر الوزارية قريبا بتعيينكم فى مراكز وظائفكم الجديدة ، هناك فى القرى ، وستذهبون الى حيث الجو النقى ، والطبيعة الباسمة ، والحقول الخضراء السندسية ، ستشاهدون هناك بزوغ الشمس باشعتها الوردية صباحا ، وغروبها وراء آفاق العراق العزيز من بين كتل السحب ، وسعف النخيل مساء وسيطرب مسامعكم خرير مياه الجداول وموسيقى النواعير ، واغانى العذارى ، وقت الفجر وحين يذهبن لاخذ المياه من الجداول فى جرارهن الطينية ، او حين يطحن الغلال بطواحينهن اليدوية الصغيرة وحين يحلبن بقراتهن ومعزاتهن وشياههن بايادیهن السمراء ، وسواعدهن المفتولة . ستعتادون هناك النوم على اصوات حراس البيوت الامناء الصادقين الذين هم اقدم رفيق للبشر وهم الكلاب والصحو على زقزقة العصافير وتغريد البلابل وصياح الديكة وستشاهدون هناك اكوام الزبل فلا تشمئزوا منها بل اريد منكم ان تعلموا القرويين كيف يجعلون منها تينا وزيتونا ورطبا ورمانا واعنابا ذات عناقيد لؤلؤية وستشاهدون هناك كثرة الامراض فلا تقشعر ابدانكم من رؤية المرضى بل عالجوهم ومرضوهم بلطف واشفاق فى مستوصفات مدارسكم وانقذوهم من امراضهم كما يعالج الراهب الصالح المذنبين بلطف واستحياء فيطهر قلوبهم ويبرىء ضمائرهم من الغل والغش والذنوب ، وستشاهدون هناك

(*) القيت فى حفلة توزيع الشهادات بدار المعلمين الريفية فى ١٢ حزيران ١٩٣٩ .

القلوب الساذجة ، والعقليات البسيطة ، والتفكير الابتدائى ، والى جانب ذلك ربما ترون كثيرا من الخرافات والخزعبلات فلا تستهزئوا بهم ، ولا تضحكوا منهم وحذار ان تهينوهم وان تستكبروا عليهم واعلموا دائما انهم اولياء نعمتنا جميعا نحن سكان المدن والخبز الذى نأكله ، والرزق الذى يملأ بطوننا ، وخزانة الدولة التى نتمتع بخيراتها ، انما هى من كد ايمن هؤلاء السذج البسطاء ، ومنتوج عرق جبينهم الطاهر النقى . فتعالوا اليهم بالحسنى واتوهم بالمعروف ونوروا افكارهم باساليب التربية الحديثة التى درستكم اياها الدولة وكونوا لهم اصدقاء محبين واخوانا يرأفون رحماء . زوروا دواوينهم واسهروا معهم الليالى الطوال وقصوا عليهم احسن القصص من مناقب محمد ومن فضائل من بنوا وشادوا مجد العرب ، ومن اسسوا دولها ، وامبراطوريتها ، ومن فتحوا الفتوح من قواد العرب حين كانت خيولهم تصهل من السند الى الاندلس وكما قال نشيد العروة الوثقى :

يبزغ النور اينما وطئت حوافر مهورهم وحين كانت راياتهم تخفق عالية من على حدود اللواء حتى حصون القسطنطينية اشرحوا لهم كيف فتح عمرو بن العاص مصر باربعة آلاف مجاهد عربى وامامه اكثر من مئة الف بيزنطى وسعد بن أبى وقاص كيف فتح العراق بخمسة آلاف مجاهد وامامه مائتا الف فارسى وخالد بن الوليد وابو عبيدة الجراح كيف افتتحا سورية بحفنة من الابطال وامامهما مئات الالوف من الروم وذكروهم باسماء عقبة بن نافع وقتيبة والمثنى ، والمهلب ، وغيرهم ممن انجبتهم الارحام العربية وممن لا تزال فى الصين بقاياهم وفى الهند آثارهم وفى الاندلس قصورهم ومساجدهم اولئك الاجداد الاوائل الذين جعلوا ثلث العالم اى ما يقارب الخمسمائة مليون من البشر يسجدون ويركعون خمسة اوقات فى يومهم متجهين نحو جزيرة العرب وطننا المقدس مستقبلين الكعبة بيت الله ومهبط الوحى ويسمون انفسهم باسمائنا العربية ويخاطبون ربهم بلغتنا العربية وتتكون اكثر من نصف لغاتهم من لغتنا العدنانية القرشية اللهم ربى ان هذا عمل لم يعمله بشر قط لا من قبل العرب ولا من بعدهم اللهم ان هذا العمل من اعمال الانبياء والملائكة الصالحين وهكذا كان اجدادنا فى سيرهم كالملائكة وكانوا فوق البشر وانما نحن احفادهم وتجرى فى عروقنا دماؤهم وقد آن الاوان لان نقتدى بهم ونسير سيرتهم .

القرية العراقية الكريمة النبيلة ... اليها ستذهبون وبمحيطها ستعيشون ومن

هوائها الطاهر النقى ستتنفسون ... علموا القروى كيف يجعل من بقرته التى لا تحلب فى العام اكثر من اربع زجاجات من اللبن ان تحلب عشرين او ثلاثين زجاجة اذا ما لقحها من فحل اصيل علموه كيف يجعل فراخ دجاجته التى لا تبيض فى السنة اكثر من خمسين بيضة ان تبيض مائتى بيضة او ثلثمائة ، وعلموه كيف يصلح جنس شياهه ومعزاته بتلقيحها من الاجناس الاصلية ، فيجعلها تدر عليه رزقا مضاعفا بل عشرة امثال ما هى عليه الآن . هل تدرون ماذا ستكون نتيجة ذلك كله ؟ تكون مضاعفة دخل قروينا الساذج وفلاحنا البسيط الكريم حيث تجعلون دخله السنوى باصلاح جنس بقرته ودجاجته وشاته ومعزته ان يرتفع حتى الخمسين دينارا سنويا بينما لا يكاد يبلغ العشرة دنانير فى يومنا هذا . وضعفه الاقتصادى والمالى هذا هو الذى جعله ضعيف البنية مريضا لا يستطيع الزواج بسهولة وتأليف عائلة ذات اطفال كثيرين يغذون جيشنا باجسامهم القوية وبارواحهم العالية الملتهبة قومية ووطنية وايمانا . وهذا الضعف المالى هو الذى جعله يبقى جاهلا اميا بينما اجداده علموا العالم ودرسوه الفضيلة وثقفوه عصورا طويلة فى اوربا وآسيا وافريقيا .

ثم علموه كيف يتمكن من ان يجعل شجرة البرتقال الواحدة تعطى خمسمائة بل الف برتقالة فى السنة اذا ما عرف كيف يغذيها بالسماد الصناعى والطبيعى وكيف يصلح تربتها بفأسه ، ويسقيها كما يقضى به الفن ، حيث تدر عليه كل شجرة منها دينارا او دينارين فى السنة ، وهى لا تشغل من الارض اكثر من عشرين مترا مربعا بينما هو لا يستطيع ان ينتج الآن من العشرين مترا اكثر من عشرين فلسا ووضحوا له الفرق ما بين الالفى فلس والخمسة والعشرين فلسا فلو تمكن كل قروى من فلاحينا ان يغرس ويقوم بادارة عشرين شجرة كما يقضى به العلم الحديث لضمن لنفسه دخلا يتراوح بين العشرين والاربعين دينارا وهذا لعمرى مبلغ يوازى من ثلاثة الى ستة اضعاف دخله الحالى وهذه شجرات البرتقال العشرون لا تشغل من الارض اكثر من خمسمائة متر مربع وهى مساحة ضئيلة جدا بالنسبة للمساحات التى يصلحها ويحرثها فلاحنا فى يومنا هذا او التى تبلغ آلافا بل عشرات الالوف من الامتار المربعة التى ترهقه من الهلاك ولا تدر عليه اكثر من خمسة الى عشرة دنانير سنويا .

هذه امثلة بسيطة اضربها لكم ولا استطيع ان احصر بكلمتى هذه كلما ينبغى

عليكم القيام به فى القرية وانتم معلموها ورسل انهاضها وتثقيفها وترون انى قد ذكرت لكم كثيرا من شؤون اصلاح القرية ولم اذكر لكم بعد طفل القرية الذى ستعلمونه القراءة والكتابة وتدرسونه فى مدرستكم ذلك لانى اردت ان اوضح لكم ان مهمتكم فى القرية لا تقتصر ولا تنحصر مطلقا فى تعليم الطفل وتدريسه وقضاء نهاركم بين جدران الصف الاربعة ، كلا بل انما مهمتكم فى اصلاح شؤون القرية فى شتى نواحيها العمرانية والزراعية والاقتصادية لا تقل عن مسؤوليتكم فى تدريس طفل القرية وتثقيفه .

ونحن من ناحيتنا سنبذل كل جهدنا لان نمدكم بما تحتاجون اليه فى اصلاح القرية كما طلبت منكم وفى مقدمة ذلك سنسعى فى انشاء حقول واصطبلات مربوطة بمدارسكم وستكون تحت اشرافكم تربون فيها الدواجن والطيور الاهلية ويكون كل واحد منكم شريك الدولة فى منتوجات هذه الدواجن والطيور وشريكها فى ملكيتها ايضا مما سيزيد ذلك فى دخلكم ويضاعف رواتبكم حيث تكون حقولكم واصطبلاتكم هذه نماذج لحقول اهل القرية واصطبلاتهم وسيأتى اهل القرية بدواجنهم ليلقحوها من الخيول الاصلية فى اصطبلاتكم وهكذا ستنشرون النعم والسعادة والهناء والرفاه اينما حللتم انشاء الله . ومن مجموع هذا الرفاه والسعادة ستتكون امبراطوريتنا العربية السعيدة المرفهة كما كانت ايام عبدالملك بن مروان وهرون الرشيد وامثالهما حين كانوا يقولون للسحب التى تمر من فوق رؤوسهم بدون ان تمطر اذهبى وامطرى اين شئت فان غلال مطرك ستأتى الى خزينتنا .

◆ ◆ ◆ ◆

الاكتشافات الآلية (*)

سبب شقاء العالم

وجوب اتحاد العرب لدرء البلاء عنهم

———:o:———

انى من المؤمنين بان لكل ظاهرة فى هذا العالم من مادية وادبية نطاقا لا يتم النجاح فى موضوعها الا ضمنه وما خلق البشر الكامل الا لاكتشاف حدود هـذه النطق والتصرف بها والتمتع بنعمها ان استطاع ضمن حدودهـا ، فكمـا ان اغفالها ينسب الى البلادة فكذلك اجتياز حدودها يعزى الى التهور والجموح ، فان كان فى الحالة الاولى يصاب الشخص او المجتمع بالحرمان والانحطاط ، ففى الحالة الثانية يتعرض للسقوط والتحطم • فطوبى لذلك المجتمع الذى يقود سفينته ربان له من قوة البصر ما يرى بها هذه النطق فيتصرف ضمن حدودها ويتمتع بها الى اقصى حدود ساحاتها من دون ان يطوح بسفينته الى الحافة التى تشرف على الهاوية ، اذ هناك الانزلاق والتدهور •

انى كلما فكرت فى اسباب شقاء العالم البشرى لا عالمنا العربى او العراقى لم اصل الا الى نتيجة واحدة وهى تهور البشر وخاصة بشر اوربة وامريكة واختراقهم نطق العلوم المادية التى كان ينبغى عليهم ان يقفوا عند حد معلوم منهـا • وعلى الاخص البخار ، والكهرباء ، والكيمياء • فلو كان هنـاك فى الامكان تنظيم احصاء فى جد ولين احدهما لما ناله البشر من منافع والآخر لما ناله منها من مصائب وويلات لوجدنا

نشرتها جريدة العراق ومهدت لها بقولها :

(*) سيرى القارىء اذا ما توغل فى مطالعة هذا المقال انه يقرأ رسالة كتبها صاحبها الى صديق له فى شؤون الحياة البشرية العامة وقد توسع الكاتب فى معالجة الموضوع وخرج فيه الى حقيقة وضع الشعوب الشرقية عامة والعربية خاصة وما تحلت به من صفات ومزايا تجعلها تستهدف الخير والصلاح ولا تجد المادية القاسية الى نفوسها سبيلا • وكاتب هذه الرسالة هو سعادة الدكتور سامى شوكة المعروف بابحاثه الممتعة فى المواضيع العامة وعلى الاخص ماله علاقة بالقضية العربية والقومية العربيـة •

الثانى يفوق الاول بمراحل بضخامة ارقامه . فقبل اكتشاف هذه العلوم الحديثة ما كان البشر يعرف ازهاق الارواح جميلة ، وما كان يستطيع نسف المدن بثوان معدودات ، ولا يسمم الهواء والمياه بشتى الغازات الخانقة والاوبئة والجراثيم وما كانت لتستطيع دولة ان تتحكم فى رقاب امة بعيدة عنها بآلاف الاميال اكثر من سنين معدودة ، وما كانت الحاجات البشرية تزداد بصورة مروعة حتى اصبح الذى كان دخله يكفى لاسعاد عشر عائلات قبل مائة سنة يرى نفسه فى هذا اليوم فى عوز تعيسا لقلة ذات اليد . وكانت لكل مادة فى الوجود قيمتها ، وما كان البشر يعرف هذا الاسراف الفظيع فى الصنع والاستهلاك ، ولا كان البشر يتخيل امكان وجود رجل او جماعة بلا عمل ، ولا كان هناك عمال عاطلون ، ولا هذا البؤس المادى والشقاء الروحى ، ولا كانت هناك ثورات واضرابات لاسباب اقتصادية ، وما كانت هذه الفروق الشاسعة بين الطبقات من حيث الثروة وشروط المعيشة ، ولا كان هناك هذا الخلل فى الموازنة فى كل خطوة من خطوات الحياة ، ولا كان هناك الشره والتكالب على المادة ، ولا هذا الفراغ المعنوى فى الروح والعقيدة ، ولا كان هناك هذا الالحاد الذى جعل البشر يفقد القناعة والرضى والكفاف .

كتابى هذا اليكم طال من دون اختيارى لانى اشعر ان النفس التى امامى واخاطبها بهذه الاسطر تصغى لما اقول وتحلل ما انا مسطر ، فعفوا ان انا سببت اضاعة دقائق ثمينة من وقتكم العزيز .

نعم كانت هناك نقائص اجتماعية وسياسية فى عصور ما قبل الكهرباء والبخار والكيمياء الفتاكة كان يمكن تلافيها باصلاحات تستند الى الحق ، والحرية ، والفضيلة ، والرأفة ، والحنان الا انه لم يكن هناك اية حاجة لما ولدته هذه الاكتشافات من وسائط آلية ، واسباب مادية ، انما اصبحت حاجة بعد اكتشافها ، وكأنى ارى العالم ستتقاسمه بعد عشرات من السنين ثلاث او اربع امم قوية بعلومها وبثروتها وبكثافة نفوسها وذلك بابادة مجتمعات عظيمة من البشر بقوة الكيمياء والكهرباء ، والبخار ، ومن ثم ستبيت كل من هذه الامم القوية للاخرى بما ستكتشفه من الوسائل الجهنمية لابادتها من الوجود والسيطرة على العالم كله بدون منازع ومنافس ، فستصطدم هاتان القوتان وستمحق احدهما الاخرى فى عقر دارها ، اذ ان هذا الاصطدام الذى سيقع بعد عشرات قليلة من السنين لن تكون له ساحة حرب وميادين قتال بل المدن نفسها

ستكون الميدان التعيس للفاجعة النهائية حيث ستنسف من تحت الارض وستحرق من اعالى السماء وهكذا ستبيد المدنية الاوروبية ـ الامريكية نفسها بنفسها وسيرجع العالم اطلالا مهدمة ينعق البوم على خرائبه • وعندها لن يفقد البشر مدنيته المادية هذه وانما مدنيته الادبية ايضا اذ ان المدنية الادبية وهى الاخلاق الفاضلة وصفات الكمال البشرية ستكون قد فقدت منذ امد طويل قبل فناء المدنية المادية وها نحن اولاء نرى هذه المدنية الادبية تذبل وتذوب وتضمحل امام اعيننا يوما بعد يوم •

نعم ارجع فاقول ما كان للبشر ان يخترق نطاق العلوم المادية بهذه الطفرات الجنونية ، وكان عليه ان يحسب نتائج كل اكتشاف على مستقبل البشر من حيث الهدم والتخريب قبل قبوله واذاعته ، ولو فعل بهذه الحكمة لما كان يصل الى حافة الهاوية التى هو عليها اليوم والتى هو متدهور فيها لا محالة بمدة اقل من عصر واحد • واظن ان السبب فى ذلك هو ان البيئة الاوروبية الامريكية التى نما فيها العلم المادى انما هى بيئة فطر البشر فيها على عبادة الماديات والاستخفاف بالمعنويات ، بخلاف البيئة الاسيوية التى فطر فيها البشر على تقديس المعنويات ووضع الماديات بدرجة دونها ، وهكذا نصل الى نتيجة عظيمة جدا وهى تفوق المدنية الشرقية على المدنية الغربية وانها اصلح لسعادة البشر واضمن لسلامتهم ومستقبلهم من المدنية الغربية والدليل الثانى على ذلك هو ان المجتمع الغربى خاضع فى يومه هذا للانجيل والتوراة وهما من وضع الشرق • وسوف لا يستطيع اكتشاف ما يستبدله بهذا النظام الاجتماعى الروحى المعنوى للشرق ـ لانه ضعيف فى هذه الناحية بقدر ضعف الشرق فى النواحى المادية • ولان الشرق قوى فى الناحية المعنوية قوة الغرب فى الماديات •

نعم وانى اعتقد ان البشر كان ينبغى ان يقف تقدمه فى ساحات المدنية المادية عند حدود اكتشاف المعادن واستعمالها فقط ، وان لا يخطو الخطوة التعسة البخارية والكهربائية والكيميائية التى تلت العصر الحديدى • وكان عليه ان يستمر فى تقدمه فى ساحات المدنية ـ المعنوية فيهذب اديانه وينقح نظمه الاجتماعية والسياسية ، والاقتصادية على اساس العدل ، والحرية والمروءة والشفقة والحنان وتساوى الجنسين فان تقدمه فى هذا المجال لا ينتج منه اى خطر كما هو الحال فى المدنية ومثل البشر فى يومه هذا كمثل من يضحى بقلبه على مذبح معدته والقلب والروح والعواطف ان تجرد البشر عنها تمسى حياته جحيما لا يطاق وهكذا فعلت المدنية الغربية المادية بالبشر واأسفاه ! ! •

ولكن ... ولكن هل هناك امكان لايقاف البشر عند حده وارجاعه الى ما قبل عصر البخار والكهرباء والكيمياء الجهنمية .... الجواب ... بكل أسف ، لا !.. ما دام الدماغ الاوربي ـ الاميركي هو القابض على الاعنة وعلى كل مقدرات الكرة الارضية هذه ... ولو تصورنا لحظة واحدة امكان تخلص الكرة الارضية من اوربا وامريكا كما تخلصت من (قارة الاطلانطيك) كما تقول الاساطير لتنفس البشر عندها الصعداء ولعادت الى مدنيته الرأفة الحنونة الرحيمة المعنوية ولعلمت عندها آسية كيف تستأنف سياسة البشر وتقوده الى السعادة الحقيقية الابدية وكيف تدخله الجنان التي تجري من تحتها الانهار وكيف تجعل افراده على سرر متقابلين لا يداخل قلوبهم لا شر ولا اثم واذا ارادوا السير فيمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما .

نعم انى اعتقد ان مرض البشر الاساسى هو هذه الاكتشافات الجهنمية وان من العبث محاولة معالجة الداء بغير تشخيص المرض ، فدآء البشر الاساسى اليوم ليس النازية ولا الشيوعية ولا الفاشستية ولا الديموقراطية ، ولا غايات هـذه المذاهب الاجتماعية والسياسية فان كلا من هذه النظم والمبادىء ، فيها الحسن ، وفيها القبيح ومن الممكن اخذ الحسن مما بها من مجموعها وترك القبيح منها على ان يكون ميزان الحسن والقبح دائما الحرية والعدالة ، وليس الارغام كما هو جار الآن وعندها وعند فقدان هذه الجهنميات يصبح من المستحيل قبض شخص واحد او جماعة قليلة على مقدرات الملايين وعشرات بل ومئات الملايين من البشر رغم ارادتهم ورضاهم وعندما يستحيل ان يجد الاستبداد والظلم هذا المرتع الخصب الذى ينمو ويعشش فيه فالتاريخ لم يرنا استبدادا بالجملة كما هو جار الآن بل ان الظلم والاستبداد كانا عند حصولهما يحصلان بالمفرد وباوقات محدودة وبمقادير قليلة جدا نسبة لما نحن فيه الآن وكان البشر يسهل عليه الانتقاض والثورة وتحطيم كل ما هو ليس براض عنه اما الآن فاصبح البشر كقطيع من البهائم مضطرا للانصياع لكل من يتمكن من القبض على ناصية هذه الآلات والوسائط الجهنمية عن طريق الحكم والا فمصيره النار وجهنم وبئس المصير ،

هل تتفقون معى بهذه الآراء ؟ ...

كنت اود ان تكونوا جالسين امامى لتناقشونى هذه الآراء والافكار وكم كنت

اود ان استمع الى حديثكم الطلى الممتع فى مواضيع كهذه • اما والحكم اليوم للقوة ، اما والقوة اليوم عند الحديد والنار • فليس لنا طريق للسير سواهما • فعندئذ علينا ان نقلد الامم رغما عنا وان نسعى فى يومنا هذا الى الاتحاد ، ولا اقصد العراق بل الامة العربية جمعاء اذ ان اتحاد العراق ليس بالشيء المهم والمجدى ثلاثة او اربعة او خمسة ملايين هى دائما لقمة سائغة للسبعة عشر او للعشرين مليونا بل علينا ان نتحد ونكون ما يناهز العشرين مليونا وباستطاعتنا ان نفعل ذلك طالما ان الذين يسكنون جوارنا وحدودنا وما وراء حدودنا يتكلمون لغتنا ويتثقفون بثقافتنا وهم اقاربنا باللحم والدم حسب ادلة التواريخ وشهوده • فعلينا ان نتحد وان نتسلح بقدر ما يتسلح سائر الناس وسائر الدول وان نتهيأ للحرب بصورة مستمرة ، وكل مبدأ سياسى او اجتماعى يسهل لنا هذا الاتحاد وهذا التسلح علينا ان نأخذ به فورا ومن دون تردد والا فان صيرورتنا عبيدا ومماليك لاحقر الامم الاجنبية لا يتوقف على اكثر من اندحار انكلترة فى اية حرب كانت داخلية او خارجية وهذا الاندحار متوقع دائما وليس من الامور التى لا يمكن تصورها وحدوثها بالمرة •

———:٥:———

مستقبل العراق وحماية الطفل

اذيعت فى الراديو سنة ١٩٣٥

———:o:———

ان المساحة السطحية للعراق تبلغ (٤٥٠٫٠٠٠) كيلومتر مربع ونفوسه اقل من خمسة ملايين نسمة فيصيب الكيلومتر المربع الواحد منه حوالى الـ (١٠) نسمات فقط بينما يصيب بعض ممالك العالم وخاصة فى اوروبا كالدانيمارق وهولاندة من الكيلومتر المربع الواحد منها (٦٠٠) نسمة اى (٦٠) مرة اكثف منا نفوسا فى الوقت الذى لم تكن فيه اوطانهم من حيث الاستعداد الزراعى والصناعى باوفر حظا من اوطاننا ولا اكثر موهبة من النواحى الطبيعية وبتعبير آخر ، لو تزايدت نفوسنا الى عشر كثافة نفوسهم فقط لبلغنا الثلاثين مليون نسمة ناهيك ان تبلغ الى ما هم عليه من كثافة . اذا لاصبحنا آنذاك ثلاثمائة مليون نسمة ، فالعراق تشهد الآثار التأريخية وكل الدلائل على انه فى زمن ازدهاره قبل وبعد الاسلام كانت نفوسه لا تقل عن الثلاثين مليونا من النفوس فمن هذه المقدمة يظهر مبلغ حاجتنا الى ازدياد النفوس وخاصة اذا اخذنا بنظر الاعتبار عدد نفوس الدول المجاورة لنا ذلك العدد الذى اذا لم تتوازن نفوسنا واياه لا يمكن تأمين الموازنة الطبيعية القومية والسياسية التى بدونها لا يمكن تأمين الاستقرار فى الشرق القريب . وتزايد النفوس لا يتم الا بالوسائل التالية :ـ

١ ـ مكافحة وفيات الاطفال .

٢ ـ تشجيع الزواج .

٣ ـ الهجرة .

٤ ـ ايقاد نار الحماية الوطنية والقومية .

ان مكافحة وفيات الاطفال لا تتم الا بمكافحة الفقر والجهل . فعائلة الفلاح عندنا اذا بقى دخلها السنوى (١٠) دنانير وعائلة العامل اذا لم يزد دخلها السنوى عن (٣٠) دينارا لا يمكن لهما ان ينتجا اطفالا اصحاء ويستحيل عليهما الحيلولة دون دفن ثلاثين بالمئة من اطفالهما على الاقل قبل ان يبلغوا السنة الخامسة من العمر .

واذا لاحظنا ان الفلاح والعامل يكونان (٨٠) بالمئة من مجموع النفوس مع استحالة حماية اطفالهم من المرض والموت وهم بهذا الضنك من العيش تجسم امامنا العدد الهائل من ضحايا الاطفال الذين يسحقهم المرض والموت وتفقدهم البلاد بدون عوض . فزوجة العامل والفلاح اذا كانت لا تشبع لحما وخبزا وفاكهة لا تستطيع اشباع طفلها لبنا والطفل الذى لا يشبع لبنا من ثدى امه فمصيره الموت او على الاقل المرض والكساح . فمصر لم تستطع النهوض الا بعد ان نظمت شؤون الرى والاراضى فزاد الدخل وتضاعف العمل والانتاج ولذلك نجد ان ميزانية مصر الآن تزيد على الاربعين مليون جنيه ، ونفوسها تزداد كل ثلاث سنوات مليون نسمة — فترون من ذلك ان مكافحة وفيات الاطفال تتناول اسس بنيان الدولة السياسى والاقتصادى والاجتماعى وتتطلب اعادة النظر فى بنيان هذا الكيان واعادة انشائه وتأسيسه من جديد .

اما مكافحة الجهل وخاصة تثقيف البنت فذلك لا يتم الا بعد ان يتم رفع الفقر فالام الجاهلة مهما كانت مرفهة ماديا لا تستطيع حماية طفلها من المرض والموت اذ ان المرض والموت لا يأتيان فقط من الفقر والجوع وانما يأتيان كذلك من عدم تغذية الطفل ومن تخمة الطفل بكثرة الطعام والشراب ، ومن ثم من القذارة والوساخة وعدم معرفة فوائد النظافة وبالنتيجة عدم صيانته من الجراثيم والميكروبات والامراض السارية فالام الجاهلة يستحيل عليها تنظيم غذاء طفلها ووقايته من الامراض السارية وكذلك يجب تعليم وتثقيف الام بصورة واسعة تتناول جميع الطبقات وكل سكان القرى والمدن والعشائر وذلك بعد وضع اسس الرفاه الاقتصادى كما قدمنا .

اما تشجيع الزواج فلا يتم ايضا الا بعد اجتياز المرحلتين السابقتين مرحلة الرفاه الاقتصادى ومرحلة التعليم والتثقيف والتشجيع وهذا يكون اما بوسائط جبرية كوضع ضريبة على العزاب ، وتنزيل الضرائب عن كاهل العائلات ذوات الاطفال الكثيرين واما بوسائط الدعاية والتشويق كمنح اوسمة للامهات الوالدات واستخدام الصحافه والتمثيل والسينما والاذاعة والمحاضرات وسائر التشكيلات الثقافية والدينيه لبث الدعاية المؤثرة كما تفعل سائر الامم الحية الناهضة . ثم القضاء على اللهو الفاسد والفحش وتحديد استعمال المسكرات وتقويم اسس الاخلاق الفاضلة فى المجتمع من جميع النواحى . اما الهجرة فذلك مشروع عظيم ينبغى ان تؤخذ الملاحظة القومية

والوطنية فيه بنظر الاعتبار بالدرجة الاولى وان يفسح المجال فيه للعناصر العربية المثمرة الى الهجرة الى البلاد بعد ان تهيأ لهم سبل العمل والانتاج سواء كانوا من العشائر الرحل او من الفلاحين لاعمار الارض .

اما ايقاد نار الحماسة القومية والوطنية نحو مثل عليا توضع نصوصها واضحة نيرة يبتدىء بها المجتمع فتجعله كقطعة عسكرية منظمة يستهدف فيها صناعة الموت للعرش وللوطن والغرور القومي الذى لا يطأطىء الرأس الا للعروبة فذلك اساس لا يشاد اى بناء عام او اى كيان دولة وقوم من دونه ، وهذا ما زلنا محرومين منه يا للأسف حتى يومنا هذا كحرماننا من سائر مقومات الحياة الجوهرية التى بسطناها آنفا ، ولاشك فى انه بهذه الحماسة المنظمة تقوم الدول والامم وتنهض وتبعث بعد موتها ، ويفقد انها تخر ساقطة على وجهها وتمرض فتموت مهما كانت عندها من اسس حياتية اخرى مادية وادبية والامة المتحمسة لقوميتها ووطنيتها تضع صيانة الطفل وحمايته فى مقدمة مناهج اعمالها وتصاميمها ويكون له عندها اوفر حصة من العناية والاهتمام .

فالعراق خلال الخمسين سنة المقبلة اما ان يكون دولة جبارة عظيمة تملى على شعوب الشرق الاوسط ارادتها وتقرر مصائرها كما كان يفعل زمن الرشيد والمأمون واما ان يكون ساحة استعمار واستغلال ومزرعة لاية امة من الامم الطامعة القوية ، وليس له سبيل وسط بين هذين المصيرين كما يؤيد لنا التاريخ ذلك والذى سيقرر احد هذين المصيرين هو جيلنا هذا والذى سيأتى بعده فاذا لم نستطع استغلال الـ (٤٥٠ر٠٠٠) كيلومتر مربع من اراضينا الخصبة والاستفادة من الـ (٦٠ر٠٠٠ر٠٠٠) ليترة ماء الذى تصبها انهارنا فى البحر هدرا فى كل ثانية واستغلال كنوزنا المعدنية الهائلة من نفط وفحم وحديد وكبريت وسائر المعادن المجهولة لدينا حتى الآن واستثمار شلالاتنا التى باستطاعتها تحريك كل قطاراتنا ومضخاتنا وسائر محركاتنا وتنوير كل مصابيحنا من دون نفقة تذكر واذا عجزنا عن ابلاغ نفوسنا الى الثلاثين مليون نسمة على الاقل ، واذا بقينا نتمرجح بين العقائد والاهداف والغايات المتنافرة نصبح غير صالحين لامتلاك هذا الارث العظيم الضخم ولاشك « والارض يرثها عبادى الصالحون »

• • • •

نفوس العراق

القيت فى الاذاعة

—:o:—

سيداتى سادتى :

وددت ان يكون موضوع مسامرتى هذه الليلة حاجة العراق الى تزايد النفوس وعلاقة هذه الحاجة مع الصحة والثقافة فاذا تصورنا ان نفوسنا اليوم هى حوالى الاربعة ملايين وان العراق باستطاعته ان يستوعب عشرة اضعاف هذا العدد لتجمعت امامنا حاجتنا الشديدة الى الاعتناء بشؤون الاسرة والطفل من صحية وثقافية .

كانت نفوس مصر قبل عصر تعادل نفوسنا الآن تقريبا اما الآن فانها قد اربت على الخمسة عشر مليونا اما نحن فيجب علينا ان لا نكتفى بهذه النسبة ونقنع بان تكون نفوسنا بعد مائة سنة ١٥ مليونا فقط وذلك لان الوسائط العلمية والطبية والمدنية لم تكن متوافرة فى ذلك الزمن البعيد الذى لم يكن مكتشفا فيه حتى المكروب كتوافرها الآن ثم لان وضعنا الجغرافى والعالمى والاقتصادى هو اشد تطلبا لتكثير النفوس من مصر قبل مائة سنة واخيرا لان الرسالة التأريخية المحتم اداؤها على الشعب العراقى لا تقل خطورة عن الرسالة التأريخية التى قامت بأعبائها الامم الاوروبية التى نهضت وتوحدت خلال القرن الماضى . ان نفوس العاصمة هى تقريبا عشر نفوس العراق اى حوالى الاربعمائة الف نسمة فاذا دققنا احصائياتها من حيث الولادات والوفيات امكننا ان نكون فكرة عن حالة العراق العامة من حيث الولادات والوفيات ففى العاصمة يولد سنويا نحو الـ (١٥٫٠٠٠) طفل ومن هؤلاء يموت نحو الثلث قبل ان يصلوا الى سن الشباب واذا اضفنا الى الذين يتوفون من الاطفال وفيات الكهول والشيوخ فلا يبقى لدينا اكثر من (٧٫٠٠٠) نسمة فقط تضاف الى نفوس العاصمة سنويا من مجموع الـ (١٤٠٠٠) ولادة وبما ان العراق هو عشرة اضعاف هذا العدد فتزداد نفوسه حينئذ سنويا فقط (٧٠٫٠٠٠) نسمة فاذا استمر على هذا المعدل فتكون نفوسنا حسب الجدول الآتى :ـ

السنة	النفوس
١٩٣٥	٤ر٠٠٠ر٠٠٠
١٩٤٥	٤ر٥٩٦ر٧٢٠
١٩٥٥	٥ر٢٥٣ر٣٩١
١٩٦٥	٦ر٠٠٣ر٨٧٥
١٩٧٥	٦ر٨٦١ر٥٧١
١٩٨٥	٧ر٨٤١ر٧٩٥
١٩٩٥	٨ر٩٦٢ر٠٥١
٢٠٠٥	١٠ر٢٤٢ر٣٣٤
٢٠١٥	١١ر٧٠٥ر٥٢٤
٢٠٢٥	١٣ر٣٧٧ر٧٤١
٢٠٣٥	١٥ر١٤٥ر٩٨٩

اى تزيد قليلا على الخمسة عشر مليون نسمة بعد مائة سنة وهذه تطابق تماما نسبة تزايد نفوس مصر منذ مائة سنة الى اليوم . ولكننا باستطاعتنا ان احسنا ايجاد الام والمعلم والطبيب ورفعنا سويتهم الى سوية ما هم عليه فى الامم العصرية واذا اتخذنا الوسائل لاسكان العشائر التى هى من جنسنا وعرقنا فنستطيع عند ذاك ان نبلغ العشرين مليونا واكثر قبل انقضاء مائة سنة . والام والمعلم والطبيب هم الاشخاص الثلاثة الذين تقع على عواتقهم تبعة خلق هذه الملايين وصيانة اجسادها من الاخطار وصب ارواحها فى قوالب الشرف والفضيلة والاخلاق العالية والوطنية الصحيحة . فقد قال نابليون عن الام انها تهز العالم بيمناها بينما تهز مهد ابنها بيسراها . وقال بسمارك عن المعلم ان الفخر فى تأسيس الامبراطورية الالمانية يعود للمعلم البروسى اكثر مما يعود الى شخصه . اما الطبيب فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ما معناه « لا يجوز الاقامة فى بلد ليس فيه طبيب » .

فهؤلاء الاشخاص الثلاثة هم القواعد الاساسية التى يشاد عليها بناء الامم ومجدها .

ولما كانت الأم السعيدة هى التى تتوافر فيها الكفاءآت الاساسية لولادة الاطفال الاصحاء فعلينا ان نعتنى بتوفير هذه السعادة للأم قبل كل شىء واول شروط سعادة

الام هو تكافؤها مع زوجها ، فى السن والثقافة والمنزلة الاجتماعية واخيرا فى الميول النفسية كالعطف والحب .

اما نظرية تعدد الزوجات فبما انها تهدم سعادة الاسرة وتبعثر وحدتها فانها فى كثير من الاحيان تضر فى الهدف الاصلى من تكاثر النفوس من حيث صحة الاطفال وتربيتهم اكثر من فائدتها فى تزييد عدد غير مفيد من الناس من حيث الصحة والتعليم . ولذلك يجب حفظا لصحة الاطفال وسعادتهم الابتعاد عن تعدد الزوجات الا فى الحالات المستثناة . ولاشك فى ان الاطفال الاصحاء لا يولدون الا من ابويين سليمين فينبغى الاعتناء بهذه الجهة والاستنارة بمشورة الاطباء فى الحالات التى تستوجب الشك فى صحة احد الطرفين .

وقد برهن العلم اخيرا على ان المرأة لا تصل الى مرتبة الكمال النسبية التى تنتظرها من حيث الصفات العقلية ، والنفسية والجسمية الا بالزواج والولادة والرضاعة وان المرأة التى تحول بعض الاسباب دون زواجها وولادتها ، وارضاعها اطفالها من ثديها لابد من انها تبقى بعيدة عن السمو الى المرتبة التى كانت تنتظرها فيما لو تزوجت وولدت وارضعت . فعلى النساء عندئذ ان يتزوجن ويلدن ويرضعن من ثدائهن لا حبا بالذرية ، وعطفا على اطفالهن فحسب بل حبا بأنفسهم ايضا ، وقد تأيد طبيا من الجهة الاخرى ان كثيرا من الامراض الرحمية والغددية والعصبية وحتى العقلية تستولى على العازبات اذا ما تجاوزن سن النضوج ولم يتزوجن ويلدن ويرضعن ولذلك نجد ان فكتور هوغو يقول كلمته الخالدة الشعرية التى يصف فيها نفسية المرأة وحاجتها الازلية الى الزواج والولادة وحب الاطفال :

« ان الطبيعة قد خلقت مهدا فوق صدر المرأة لا يستطيع ان يبقى فارغا »

فنجد علم الطب الذى لايستطيع الوقوف امامه وتحديه اى علم آخر وهو الذى لايستند الى نظريات وفلسفات جوفاء مجردة يجيب من تلقاء نفسه على تلك النظريات والفلسفات الهدامة القائلة بلزوم تحرير البشر من اربطة الاسرة والزواج المحددة للحرية وتحرير المرأة من تربية الطفل وارضاعه فمعنى هذه النظرية ان صحت فقد نفذ الحكم على جميع النساء بالامراض المتنوعة ومن ثم ابادة البشر عن طريق القاء المرأة فى زمرة متنوعة من الامراض الجسمية والنفسية والعقلية ـ اما من الجهة الاخرى فنجد الطفل مهما بذل فى تغذيته من اعتناء واهتمام لا ينمو ولا يترعرع كما لو تغذى

من ثدى امه مباشرة ـ فالعقل البشرى لا يستطيع امام هذه الحقائق العلمية والقوانين الازلية التى يكون هدفها صيانة الجنس وتأمين استمراره وادامة تسلسله الا ان يقف خاشعا مبهوتا مطأطىء الرأس بتهيب واجلال .

وهل بعد هذا تبقى حاجة لتذكير سيداتنا الفاضلات بلزوم الابتعاد عن ارضاع اطفالهن صناعيا اللهم الا اللائى قد اصيبت اثداؤهن او اجسامهن بالضعف والعجز عن افراز مادة الحياة الاولى وهى اللبن ، فهن يصبحن عندئذ معذورات وعليهن ان يستشرن الطبيب فى تنظيم قائمة غذاء اطفالهن ونوعه ومراقبته ويستغرق شرح ذلك وايضاحه الى تحرير كراسة صغيرة وبعد الوضع تتجلى حاجة المدرسة والمعلم لا لتربية الطفل الوليد فحسب بل لتتمكن الام من تربية طفلها ومداراته ، فمن المستحيل على الام غير المثقفة تثقيفا ابتدائيا على الاقل ان يكون فى استطاعتها تربية طفلها وصيانة صحته من الاخطار . دون عثرات واغلاط متكررة خطيرة ، ولذلك تتجلى الحاجة التى لا تحتمل الجدل والمناقشة الى لزوم تهذيب الفتاة وتعليمها اما الطبيب فتجد الحاجة اليه مستمرة سواء كان ذلك للام ام للطفل وفى كل دور من ادوار الحياة ، ولكنها حاجة كلما قل الالتجاء اليها دل ذلك على تقدم الفرد والعائلة ومن ثم المجتمع .

واخيرا اتمنى لسامعى هذه الليلة ان يكونوا من اقل الناس حاجة للطبيب ما عدا حاجتهم لسماع محاضرته فى الراديو .

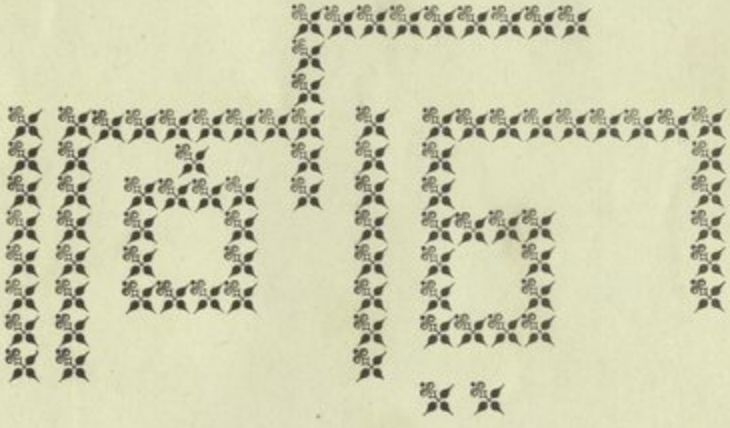

الجسر العربي بين العراق ومصر (*)

—:o:—

هذه المرة الثالثة التي اتشرف بها بزيارة مصر وقبلا كنت قد تعرفت بها مع انى لم ارها ، ، عن زملائى المصريين فى كلية الطب فى الاستانة منذ خمس وعشرين سنة حين كنا تلاميذ ندرس الطب جنبا الى جنب ولم تكن لنا آلام فى ذلك الوقت سوى آلام الوطن وكانت آلام اوطاننا تختلف مصادرها ولذلك كان لكل منا سبيله فى دفع هذه الآلام ووجهة خاصة فى معالجتها وتوحدت هذه المصادر بعد الحرب فتوحدت فى اثرها سبلنا فى الكفاح حتى انقذ سبحانه وتعالى وطننا منها واليوم نجد انفسنا وقد استند كياننا الى هذه الدعامة التي تسمى بالموازنة الدولية فلو انهارت انهار معها كياننا والانهيار هذا يتوقعه حتى القابضون على دفة هذه الموازنة فالركون اليها بعد الآن ضرب من الجنون والعالم يزداد جنونا وشرها يوما بعد يوم واوطاننا هى المائدة الحافلة بكل ما لذ وطاب فى أعين الغير فصيانتها امانة فى اعناق جيلنا هذا فان فرطنا فيها أسأنا الى ماضينا المجيد ومستقبلنا الذى ينتظر منا اعادة هذا المجد .

سألنى سائل حين هبطت مصر سنة ١٩٣٥ ما الذى دعاك ان تجتاز البلاد العربية القريبة وتأتى الى مصر البعيدة وانت باستطاعتك ان تسد حاجة العراق من الاطباء والعلماء من اقرب موضع اليك ؟ فاجبته : لان العراق صمم على تشييد جسر عربى تكون قاعدته الشرقية العراق وقاعدته الغربية مصر وهؤلاء الرجال الذين سنجلبهم من مصر سيكونون حجر الزاوية فى القاعدة الغربية . وكان حاضرا هذه المحاورة حمد باشا الباسل وعزيز على باشا المصرى وابراهيم عبدالقادر المازنى فتحمسوا فى قولى هذا وأيدونى فيه فهذا الجسر هو الذى سيتسلق على جوانبه من غرق من اقطار اخواننا فينقذها من الهلاك وعندها سنكون امة وعندها سنكون دولة امة ، ودولة لا تكون عالة على غيرها ولا تكون دعامة استنادها الموازنة الدولية بل الموازنة الدولية هى التي ستحتاج اليها لتكون لها احدى الدعامات ؟ يقال ان حكيما

(*) نص الخطبة التي القاها الدكتور سامى شوكة فى دار الاذاعة المصرية يوم أم القاهرة مترأسا الوفد الطبى العراقى الى المؤتمر الطبى العربى هناك .

قديما حين ادركته الوفاة دعا ابناءه وطلب الى اقواهم ان يكسر حزمة من القضبان مشدود بعضها الى بعضها الآخر فما استطاع فقال له : فرقها وعندها سهل عليه تحطيم كل واحدة منها على حدة وهكذا طلب اليهم ان يكونوا يدا واحدة ولا يتفرقوا فيهلكوا وتذهب ريحهم .

وحدنا سبحانه وتعالى على ايدى اجدادنا من راشدين وامويين وعباسيين وفاطميين فاصبحنا فى يومنا هذا بفضل الله اخوانا فى اللغة والعقائد والعادات والتاريخ والتقاليد والوضع الجغرافى وبكل ما هو جوهرى وروحى ولم يبق ما يفرقنا الا كل ما هو شكلى وسطحى اما الآن فالاخطار المحدقة بنا تصرخ فى وجوهنا ـ ان اتحدوا ـ والا سهل ابتلاعكم لقمة فلقمة . يشترى العراق سنويا ما يربو على الخمسة ملايين جنيه بضاعة اجنبية يصنع اكثرها فى مصر وتستورد مصر ملايين الجنيهات من الحبوب والحاصلات وباستطاعة العراق تقديم ذلك اليها فاتفاق كمركى واحد يجعل الاخوين يحتفظان بمعظم ثروتهما التى تذهب الآن بددا الى الاجنبى ، فى العراق مئات الالوف من الافدنة الخصبة وقلة النفوس جعلتها بورا وفى مصر مديريات عديدة ضاقت بها ارضها لتزايد نفوسها المستمر فمعاهدة لا تزيد عن اربعة اسطر تنقذ هذه الالوف من العاطلين فى مصر وتحيى تلك المئات الالوف من الافدنة فى العراق فتجعلها جنات عدن وقد سمعت عبدالرحمن بك عزام والمرحوم يسين باشا الهاشمى يتكلمان يوما فى هذا الموضوع .

لنا اربعة بنوك فى العراق ، وكلها اجنبية تربح كل واحدة منها سنويا الآلاف المؤلفة وهنا بنك مصر قد تضاعف رأسماله وباستطاعته ان يفتح فرعا وفروعا له فى العراق فيحول بعملية سهلة بسيطة جريان ذهب العراق من اوربا الى مصر . نحن نحبكم ايها المصريون اكثر من حبكم ايانا لاننا نعرفكم اكثر مما انتم تعرفوننا وهل فى استطاعتنا ان لا نحبكم ونحن نغترف من ينابيع علومكم وآدابكم كل يوم ما نروى به ظمأ ثقافتنا وعاطفتنا فزوجة ابن عم مليكنا مصرية وزوجة ابن رئيس وزرائنا مصرية وزوجة مفوضنا العراقى عندكم مصرية وعندنا مصريات كثيرات اخريات زوجات لعراقيين كثيرين سيلدن كلهن لنا اشبالا يجرى فى عروقهم الدم المصرى والدم العراقى ممتزجين فيكونون لنا حلقات المستقبل الذى ستربط مصر بالعراق ربطا لا انفصام له .

ما هذا الجو البديع عندكم ! اتيت مصر صيفا واتيتها شتاء فما شعرت بشتاء ولا بصيف فكأنى فى ربيع دائم وحين كنت افكر فى هذه الهبة والمنحة السماوية انكشفت امامى اسباب رقة طباعكم وموسيقى لهجتكم وصدق طويتكم التى ترتسم انطباعاتها على وجوهكم الجذابة وظرفكم ومرحكم ونكاتكم فما استغربت بعد كل ذلك ان تتولد من كل هذا تلك الشعل الكهربائية العنيفة التى سجلتها الكتب السماوية والتاريخ والتى احاطت بيوسف الصديق وبقيصر وبانطونيا دس تحت سمائكم هذه الزرقاء الصافية وفوق تربتكم هذه النضرة وعلى امواج نيلكم الباسم .

نحن نحبكم ايها المصريون فاحبونا انتم ايضا وسيبرهن لكم المستقبل باننا جديرون بهذا الحب .

◆ ◆ ◆ ◆

الرحلة الى مصر (*)

العراق فى مصر

اتينا الى هنا نحو اربعين طبيبا عراقيا تسعة اعشارهم لم تتح لهم فرصة التشرف بزيارة مصر التى يعتبرها العراق اعظم موئل للغة العربية والثقافة العربية والعلوم العربية ، والتى من مجموعها كلها تتكون القومية العربية فجميع هؤلاء الاطباء الذين اتشرف برئاستهم من الشباب المخلصين المتحمسين لفكرة الجامعة العربية فلما شاهدوا مصر وما فيها من رقى وتقدم عصريين واكثرهم اتمو دراستهم فى اوربا وعرفوا عواصمها وبلدانها معرفة تامة شهدوا بلسان واحد بان مصر لا فرق بينها وبين اوروبا نفسها من حيث التقدم المادى والادبى . وهم يقولون هذا وقلوبهم ترقص فى صدورهم من الفرح والبشر والسرور والاغتباط لانهم وجدوا الان الولد العربى الاعظم وهو مصر قد بلغت فى تسلقها قمم الحضارة العصرية هذه الدرجة العليا من السمو والرفعة وكان لسان حالهم يقول ان كل هذا الذى نراه هو لنا وهو منا والينا .

فيا للسعادة ويا للغبطة والهناء نعم انى بكلماتى هذه اعتقد بانى اعبر تمام التعبير عن شعور اخوانى او ابنائى الاطباء العراقيين ولكنى وجدتهم مع كل هذا الفرح والسرور يتساءلون عن نقطة واحدة بقيت مجهولة لديهم وجدتهم يتساءلون عن ساحات الحدود المصرية وعن نسبة تقدم صناعة الموت فيها تلك الصناعة التى تحمى هذه الحدود وما فى داخلها من كنوز اذ انهم وجدوا فيها صناعات الحياة كلها تقريبا قد تقدمت تقدما فاق المستوى الذى بلغه بعض البلاد الاوروبية وارادوا ان يتحققوا من ان هناك فى مصر صناعة للموت تحمى وتحرس هذه الصناعة الحياتية فهم قانعون كغيرهم من المخلصين القوميين بان صناعات الحياة اذا لم تمش الى جانبها صناعة الموت بصورة متوازية واذا كانت النسبة بينهما قد تباعدت فالخطر يزداد بنسبة هذا التباعد ورأيت كل واحد منهم يتحمس ويتمنى لو يتطوع جنديا بسيطا فى جيش مصر اذا ـ لاسمح

(*) اوفد العراق الى المؤتمر الطبى العربى المنعقد فى القاهرة اربعين طبيبا على رأسهم سعادة الدكتور سامى شوكة وكان اذ ذاك مديرا عاما للصحة ، وقد اقامت الجمعية الطبية المصرية فى فندق هليوبوليس مأدبة عشاء على شرف الوفود حضرها ما يربو على الف مدعو فارتجل فيها الدكتور الخطاب التالى :

اعضاء المؤتمر الطبى العربى المنعقد بمصر فى شهر شباط ١٩٣٩ بعد افتتاح المؤتمر
وقد اشير الى كل من رئيس المؤتمر ورئيس الوفد الطبى العراقى بعلامة ×

الله ـ داهمها خطر غريب كما يتطوع المصرى والسورى والعراقى الآن فى ساحات فلسطين فطمأنتهم عندها قائلا لهم : وان كانت ميزانية الدفاع فى مصر لا تربو على ثمن مجموع الميزانية العامة الا ان هذه النسبة ستزداد لاشك قريبا وبعد مدة قصيرة ستبلغ النسبة التى تتحمسون الى تحقيقها اذ انهم يعلمون ولا ريب ان ميزانية الجيش العراقى هى ٤٥ بالمئة من الميزانية العامة للعراق وكذلك ميزانيتا تركيا وايران . وهذا الشعور يا اسيادى المصريين هو شعور طبيعى ولا نستطيع ان ننزعه من قلوبنا ولم يلقنه ملقن للعراقيين وهل ابن العشيرة وابن العائلة بحاجة لمن يلقنه الغيرة والحماسة للدفاع عن كيان عشيرته وعائلته . كما انى اعلم ايضا ان هذا الشعور عندنا قوى ويزداد قوة ، وانتشارا يوما بعد يوم . وعند رجوع هؤلاء الاربعين طبيبا الى العراق سيؤججونه بما ينشرونه فى العراق من الاحاديث عن مصر وحب مصر .

اما منكم فلا نطمع ولا نجرؤ فى الوقت الحاضر على ان نطلب اكثر من ان يبلغ الشعور عندكم فى حبنا ما هو بالغ عندنا فى حبكم لاننا نعرفكم من قبل اكثر من معرفتكم ايانا ويكفينا منكم فى الوقت الحاضر الا تصدوا عنا ولا ترفضوا حبنا وهذا حسبنا الآن .

اما فى المستقبل واظنه المستقبل القريب فسيأتى يوم نتمكن فيه بقوة حبنا النزيه وشديد تعلقنا بكم من غزو قلوبكم وسنحتلها تدريجيا بحيث لا نبقى فيها مكانا يتسع لغير العروبة وعلى الاخص لما يتنافى والاهداف المقدسة العليا للعروبة وسنتمكن من جعل عظماء كتابكم ومفكريكم وزعمائكم كل واحد منهم ، عبدالوهاب ، او عبدالرحمن عزام فى الايمان بالعروبة والسعى نحو اهدافها بما فيهم استاذنا الكبير طه حسين اذ عند ذلك تتوحد جميع هذه الجهود ساعية لاعادة انشاء وبناء كياننا المقدس الذى تمتد حدوده من خانقين الى تطوان ومن اعالى حدود الهلال الخصيب الى عدن مستهدفين احياء مجدنا ذاك الذى بناه اجدادنا من راشدين واموين وعباسيين وفاطميين وورثناه نحن ابناء آسيا وافريقيا العربيتين . هتلر يقول ان صناعة الحكم وقيادة المجتمع نحو اهداف ومثل عليا تحتاج الى من تتوفر فيهم قوة الخلق والايمان اكثر من احتياجها لمن تتوفر فيهم قوة العلم والتفكير وخاصة اذا كان هذا العلم والتفكير من النوع السلبى .

وعندما نسير ايها السادة كلنا متكاتفين نحو تحقيق هذه الاهداف السامية المقدسة ، يستطيع ان ينظر كل واحد منا الى المستقبل باطمئنان وعند ذلك فقط سيخطب العالم ودنا وتأتى وفوده الينا ملتمسة رضانا والتفاتنا بدلا من ان نلتمس ونرجو نحن ود الاقوياء ورضاهم كما نفعل الآن .

صحافة مصر

وخطاب الدكتور سامى شوكة

—:o:—

علقت الصحف المصرية على خطاب سعادة الدكتور سامى شوكة بما يلى :

قالت جريدة البلاغ :

لما كانت مصر والعراق اقدر من غيرهما اليوم على بذل جهود خاصة لدرء اخطار المستقبل عن الشعوب العربية فقد اتفق الرأى بين اقطاب الوفد الطبى العراقى وبعض كبار المصريين الذين اجتمعوا بهم فى هذه المناسبة على تأليف حزب مصرى عراقى يعمل على ايجاد اتحاد عربى للدفاع عن كيان هذه الشعوب .

وقد ذكر الدكتور سامى شوكة بك رئيس وفد العراق فى المؤتمر الطبى من اغراض هذا الحزب ان يعمل قبل كل شىء للاستيلاء على المدارس الاهلية فى جميع الممالك الشرقية وذلك باعانتها الى الحد الذى يمكنه من توجيه سياستها التعليمية وتقرير مناهجها وفق مصالح الوحدة العربية لان تثبيت هذه الدعوة فى اذهان الشباب ، ومحاربة الدعايات الاجنبية فى معاهد التعليم الاهلى هما اول ما يجب ان يتوفر عليه دعاة الوحدة .

وكذلك يعمل الحزب للاشراف على الصحافة العربية وتوجيهها لخدمة هذه القضية التى يتوقف عليها فى هذه الظروف مصير الشعوب العربية . كما يلجأ الى تنشيط الدعاية فى جميع الاوساط ومحاربة كل من يقف فى سبيل تحقيق هذا الهدف السامى .

وتناولت « المقطم » هذا الموضوع فعلقت عليه داعية الى الاخذ به والعمل حثيثا فى هذا المضمار لفائدة البلاد العربية وانجاح اتحاد دولها . وفى ما يلى بعض ما قالته الجريدة المذكورة فى هذا الصدد :

لا يدع العراق فرصة الا ويغتنمها لمصلحة العروبة مهما كان نوع الفرصة وقد

الدكتور سامى شوكة بين الدكتورين عبدالوهاب
عزام وزكى مبارك فى احدى حفلات المؤتمر الطبى العربى

اعضاء المؤتمر الطبى العربى فى مصر على مائدة محافظ الجيزة فى القناطر الخيرية
ينصتون لخطاب الدكتور زكى مبارك عن الوحدة العربية

دأب رجاله على هذا المسعى الجليل منذ ما شعروا بسعادة الاستقلال ومن يوم ان اعلنوا انهم يتحملون تبعة القضية العربية فكان اول اهدافهم وحدة هـــذه الامة فى جميع اقطارهـــا .

ولقـد تحدث صاحب السعادة العشماوى بك لما كان فى المؤتمر الذى عقـد فى العراق حديثـــا جليلا عن غيرة العراقيين وعظيم سعيهم فى سبيل المصلحة العربية ووحدة هذه الشعوب حتى خرج من العراق وفى نفسه عقيدة راسخة هى توحيد الثقافة فى الاقطار العربية كلها فهى المقدمة الاولى الطبيعية لتوحيد هذه الامة العربية اجتماعيا وسياسيا حتى تعود الى حمل رسالتها الاولى فيضىء فى الشرق نورها الوضاح فان للشرقيين عقيدة تطابق عقيدة الاسلام خلاصتها ان الامة العربية اذا ارتفع شأنها ارتفع شأن الشرقيين والمسلمين واذا ذلت ذل الجميع .

ولقد كان فى المؤتمر الطبى العربى الذى عقد فى هذه الايام عندنا فرصة سنحت اغتنمها اخواننا العراقيون كعادتهم فى كل ما ينفع المصلحة العربية فادرك العراقيون مدى نفوذ مصر ولاسيما فى هذه الحركة المباركة التى ظهر بها كرام المصريين تجاه مشكلة فلسطين فعمـدوا الى الاستفادة من هذا الموقف بتوحيـد جهودهم وجهود شقيقتهم العظيمة مصر وذلك بتأليف حزب مصرى عراقى وفعلا صادفت هذه الفكرة الثمينة هوى عند بعض كبار المصريين الذين ضمهم المؤتمر والذين اجتمعوا باعضاء الوفد العراقى ورئيسه الفاضل فهو الذى اشار الى اغراض هذا الحزب وما يرجى منه لمصلحة مصر والعراق والاقطار الشرقية عامة .

فقد شرح ذلك الدكتور سامى شوكة بك فى حديثه عن غاية الحزب فقال يجب ان يستولى الحزب قبل كل شىء على المدارس الاهلية فى جميع البلدان الشرقية وذلك باعانتها الى الحد الذى يمكنه من توجيه سياستها التعليمية وتقرير مناهجها وفق مصالح الوحدة العربية لان تثبيت هذه الدعوة فى اذهان الشبان ومحاربة الدعايات الاجنبية فى معاهد التعليم الاهلى هى اول ما يجب ان يتوفر عليه دعاة الوحدة .

ولم يدع الطلاب العراقيون الذين يدرسون فى معاهد مصر العلمية فرصة وجود الوفد الطبى العراقى فى القاهرة تفوت من غير ان يظهروا عواطفهم الوطنية فى هذا المضمار فاقاموا حفلة تكريم فخمة حضرها اعضاء الوفد ولفيف كبير من رجال مصر والمشتغلين بالشؤون العربية . وقد تنافس فى هذه الحفلة فتيان العراق فخطبوا فى

وجوب بذل الجهود فى سبيل اتحاد اقطار الضاد واطروا رجال العراق وخدماتهم فى هـــذا المضمار . وقد خطب فى هذه الحفلة الدكتور عبدالوهاب عزام فنوه بفضل العراق قديما على النهضة العلمية وتمنى للعراق ان يعيد عهده السابق فيوفد الى الاقطار العربية اساتذة وتوفد اليه هذه الاقطار طلابها وبعثاتها العلمية وخطب الدكتور زكى مبارك ومما قاله : ورثنا بلاد الفراعين لنحفظها للعروبة . وخطب الدكتور عبدالمجيد القصاب فقال : لقد جئنا من وادى الرافدين الى وادى النيل لنجدد العهد وانا على العهد لمقيمون .

وفى الختام دعى الدكتور سامى شوكة للخطابة فقام وتكلم ونوه بمجد الامـــة العربية فقال :

ان جزيرة العرب هى التى اخرجت الاقـوام الساميـة وهى التى وضعت اسس المدنية من عدل وثقافة وحروف ابجدية فمسلة حمورابى تحتوى على اسس العدل الذى وضعها العرب قبل خمسة آلاف سنة ومنها السن بالسن والعين بالعين فنحن الذين وضعنا اسس العدالة فى البشر ويجب ان يكتب تاريخنا على هذا الاساس ، قال هذا ووجه الكلام الى العشماوى بك .

ونوه بالمخاطر المحيطة بالعالم والتى تهدد الامم الصغيرة بالفناء والسحق وقال ان هـــذه الامـم الصغيرة لا تعيش مستقلة لان الدول الكبيرة لم تتفق على سحقهـا واخذها قوة واقتدارا ووضع مبادىء حكميـة اشبه شىء بدستور لتوحيـد الاقطار العربية كلها فى محيط واحد والقى المسؤولية فى ذلك على مصر والعراق وتمنى وجود حزب يسيطر على المدارس والصحف والحركة الفكرية للعمل لهذا الغرض الرشيد وقال ان الذين لا يؤمن بذلك احد رجلين فهو اما ان يكون مغفلا او خائنا واسترسل فى نشر دروه الحكمية فكانت مسك الختام .

———:o:———

وداع مصر (*)

يوم ٥ شباط ٩٣٩

اودع مصر القاعدة الحربية لجيوش امتى العربية التى استندت اليها فى فتح افريقية واوربة الغربية يوم كانت تقود العالم نحو الحق والفضيلة والعدل • اودع مصر اكبر كوكب فى سماء بلادى العربية • مصر التى تضىء لنا بعلومها وثقافتها سبيل الرقى والتقدم • اودع مصر عاصمة لغة القرآن فى القرن العشرين • احبك يا مصر كما احب العراق وسورية ولبنان وفلسطين ونجد واليمن وسائر بلادى العربية التى تمتد من خانقين الى تطوان ومن اعالى الهلال الخصيب الى عدن ، والى الملتقى يوم ترتفع من بيننا الحواجز الكمركية ويوم تتوحد فيه جميع مظاهرنا الدولية كما هى متوحدة اليوم قلوبنا • والحمد لله اولا وآخرا •

• • • •

(*) ودع سعادة الدكتور سامى شوكة مدير الصحة العام ورئيس الوفد الطبى العراقى المؤتمر فى القاهرة بهذه الكلمة .

لن نترك قلبكم يغرم بغيرنا

:o:

ان اول من نطق بالعروبة هو لبنان وسورية . فالمرحوم ابراهيم اليازجي هو القائل : « تنبهوا واستفيقوا ايها العرب » قالها : منذ اكثر من نصف قرن يوم كان استبداد عبدالحميد يكم الافواه ويحجز الضمائر . من لا كرامة لبلاده لا كرامة لشخصه مهما سمت به منازل العلم والثروة .

كان العثمانيون يحكمون باسم الخلافة والعثمانية هذا هو الذي كان يجمع اقوام الدولة فلما بدلوا سياستهم وارادوا استعبادنا ثرنا عليهم ثم حالفنا البريطانيين ولما ماطلوا وسوفوا في اعادة حقوقنا في الاستقلال ثرنا عليهم ايضا فأتينا بفيصل وتوجناه علينا مليكا ، عندنا الآن جيش مع فتوته فهو قوى بفضل الله وكذلك قوتنا الجوية وجيشنا هذا لو تعلمون كيف نعقد عليه الآمال ويقدسه كل عراقي في البلاد ولا يسمو على حبه حب عندنا . فهو الذي سيقوم في المستقبل ان شاء الله باعمال تطرب لها روحا خالد بن الوليد وابي عبيدة الجراح وهما في قبريهما الطاهرين . المستقبل للامم الكبيرة اما الصغيرة فمستقبلها تحت رحمة الدول الكبيرة متى تسنح الفرصة لابتلاعها ونحن بفضل الله امة عظيمة وقد توفرت لدينا كل الاسباب لتكوين دولة كبيرة وسنكونها ويومذاك سيأتي العالم خاطبا ودنا لا نضطر حينئذ الى استجداء عطفه .

لا فكرة في العراق تسمو على الفكرة القومية العربية ، ولا يفرق بيننا دين او مذهب فالقومية فوق الجميع ، ونحرسها بارواحنا ، وهي تنمو بسرعة وزعماؤنا وعظماؤنا ووزراؤنا هم الذين يحرسونها ويغذونها وعلى رأسهم جلالة الملك غازي .

لبنان هو اجمل قطعة في العالم العربي والاب كيف لا يحب اجمل طفل من اطفاله ، لبنان اشتهر بعبقرية ابنائه وذكائهم المفرط مما جعل بعض افراده يتسنمون حتى رئاسات الجمهوريات في امريكا ، ان نصف اطباء العراق هم سوريون ولبنانيون وهم قائمون بخدمة العراق خدمة يشكرهم عليها الجميع وسنحتاج اطبائكم ومعلميكم ومثقفيكم مدة طويلة فلا تبخلوا بهم علينا وهل يتردد الاخ في مساعدة اخيه والعراق يحتاج الى ادمغة واياد عاملة فهناك بلدكم الثاني ولا ريب . تعالوا الينا فاننا نحبكم ولن نترك احدا يحبكم اكثر منا ، كما لن نترك قلبكم يغرم بغيرنا .

(*) الخطبة التي ارتجلها سعادة الدكتور سامي شوكة ، في الجمعية الطبية اللبنانية في بيروت يوم ٩ شباط سنة ١٩٣٩ في طريقه الى العراق .

في دمشق

الكلمة التي ارتجلت في حفلة النادي العربي بدمشق

———:o:———

ان سورية اول من نطق بالفكرة العربية وذلك منذ اكثر من نصف قرن حين كان كابوس الاستبداد الحميدي يخيم على الشرق الاوسط كله فاذا كانت البلاد العربية اليوم يقودها زعمائها ومفكروها وكتابها نحو تحقيق هذا الهدف المقدس فانما يرجع الفضل في ذلك الى سورية . وحين اقول سورية اقصد لبنان وفلسطين ايضا ، اليس ابراهيم اليازجي اللبناني العربي هو القائل قبل نحو نصف قرن تقريبا « تنبهوا واستفيقوا ايها العرب » فالشعلة المقدسة التي تنير لنا الآن طريق الوحدة والمجد قد قدح زنادها السوريون قبل كل احد واننا كلنا مدينون لكم بهذا الفضل الذي لا فضل فوقه . وباستطاعتي ان ازف اليكم بشارتين خطيرتين جدا :

الاولى : ان مصر بزعمائها ومفكريها وقادتها صارت تؤمن بالوحدة العربية وانها بدأت تحس بها وانها والعراق مسؤولان عن السعي لانقاذ العرب من الاخطار المحيطة بهم الى درجة صار زعماؤهما وكبارهما يتفاخرون من منهم الذي سبق الآخر مجاهرا بالفكرة المقدسة . واسم مصر معناه ١٨ مليونا من انجب واذكى العرب ومعناه ميزانية تربو على الـ ٤٥ مليون جنيه ومعناه اهم بقعة في العالم تربط افريقية العربية باسيا العربية وباب بين الغرب والشرق ومعناه قوة تستطيع تجهيز مليون ونصف مليون من الجنود الذين دوخ اجدادهم آسية والعالم بشدة بأسهم وشجاعتهم فهذه مصر كلها تدخل الآن ضمن نطاق الفكرة العربية وتأتي بحب ورغبة نحو احضاننا المفتوحة لها بلهفة وشوق ما وراءهما لهفة وشوق .

اما البشارة الثانية : فهي اني لمست حين وجودي في مصر ان هناك فكرة ترمي الى تقوية الشرق العربي وتوحيد اجزائه الى درجة تقلل احتياجه للغرب الى اصغر حد ممكن وتعلمون ان العالم يمشي بسرعة نحو اللهب والنار ، والشرق العربي هذا اذا ما اندلعت السنة اللهب فسوف لا يكفيه للدفاع عنه اقل من ثلاثة ملايين جندي فالثلاثة ملايين جندي باستطاعة بلادنا اذا كانت موحدة ان تجهزها دون

مساعدة الغرب واذا كان زمام قيادتها بيدها نفسها فهى عند ذلك لا تحتاج من الغرب الا السلاح وهذا ندفع ثمنه بكل طيبة خاطر والعراق وان كان يأتى بعد سورية ومصر تقدما ومدنية الا انه اقدم منهما فى الاستقلال وممارسة الحكم واكثر تجاريب وخوضا للمعامع وخاصة الدموية منها ولذلك فهو مستعد ان يقوم بنصيبه من المهمة الكبرى التى تلقيها البلاد العربية على عاتقه .

يقول دزرائيلى بانى الامبراطورية البريطانية ومجدد عظمتها فى القرن التاسع عشر « السياسة معرفة الاشخاص » وانى لاقص عليكم قصتين عن عمر بن الخطاب المع شخصية سياسية فى تاريخنا العربى قصتين ترون منهما بعد نظره فى معرفة الاشخاص بلمحة بصر فقدكان يتمشى يوما خارج المدينة فاقبل عليه بدوى يقود فرسا فساومه عليها فاتفقا على ثمن وقبل دفعه رأى عمر ان يجرب الفرس فركبها وغار عليها فكبت الفرس وجرحت فى صدرها فنزل عنها وسلمها للبدوى رافضا شراءها لانها لم تستطع حمله فرفض البدوى اخذ الفرس وطلب اتمام صفقة البيع ولما لم يتفقا سأله عمر اذا كان يرضى فى التحكيم فانتخب البدوى شابا يدعى « شريحا » وكان تلميذا يدرس الفقه فى جامع المدينة فرضى به عمر فأتى شريح وبعد سماع القصة حكم فورا فى القضية قائلا : « يا امير المؤمنين اما ان تدفع الثمن الذى اتفقتما عليه وتأخذ الفرس واما ان تعيد الفرس الى صاحبها كما اخذتها بدون جرح » فنظر عمر فرأى الحكم صائبا الى درجة لا يمكن ان يصدر الا من عقل له مزايا القضاء العادل والفكر الثاقب فقبل فورا بحكمه وقال له : اذهب فلقد عينتك قاضيا للكوفة وأتى شريح الى الكوفة وبقى فيها ، أتدرون كم بقى فيها ؟ بقى فيها ٦٠ سنة وهو يدير شؤونها القضائية وكان من اعدل واعلم قضاة زمانه وترك مؤلفات وتصانيف تعد المرجع الاعلى فى الفقه والقضاء العربى الاسلامى ، والقصة الثانية هى ان عمر بن الخطاب لما تعب يوما من الطواف فى شوارع وازقة المدينة ليلا جاء الى حائط واسند ظهره اليه طالبا الراحة فسمع صوت امرأة من وراء الحائط يقول : « اى بنية هل انجزت حلب البقرات » فاجابت الفتاة « نعم يا اماه » فقالت الام وكم كانت كمية الماء التى مزجت بها الحليب فقالت البنت لم امزجه لان امير المؤمنين امر الناس بعدم غش

الحليب بعد الآن ، فاجابت الام « اى بنية ومن اين لامير المؤمنين ان يعلم اننا مزجنا حليبنا الذى نبيعه بالماء ولا احد يطلع علينا » فاجابت البنت « ان الله سبحانه وتعالى هو المطلع علينا وانى لا اخالف امرا لامير المؤمنين » . فلما رجع عمر الى بيته دعى ابناءه الاربعة بعد ان تحقق ان البنت فى سن الزواج وقال لهم انى وجدت فتاة تليق بان يتزوجها احدكم فقولوا من هو الذى يريدها فانبرى عاصم ابنه وقال انا يا أبت اريدها فزوجها عمر لعاصم فانجبت بنتا تزوجها عبدالعزيز الاموى فانجبت البنت عمر بن عبدالعزيز الذى يعد اسمى درة فى تاج الدولة الاموية .

ارأيتم كيف ان عمر بن الخطاب يعرف الناس بمجرد رؤيته اياهم ومكالمتهم وكيف كانت له هذه الفراسة فى معرفة اخلاق البشر بلمحة واحدة وهذه آثاره وسيرته وتاريخه كالشمس الساطعة تؤيد انه من اعظم سياسيى العرب الامر الذى يؤيد قول دزرائيلى من ان « السياسة معرفة الاشخاص » فنسأله تعالى ان يهب رجالنا وزعماءنا نظرا سياسيا وبصرا ثاقبا بمعرفة الاشخاص ليستطيعوا دون عناء ان يتوفقوا لقيادة امتنا العربيـة وتوحيدها وتكوين دولتنا الكبرى التى لا حياة ولا مستقبل ولا كرامة لنا جميعا بدونها .

ان تاريخ الامة العربية لم يبدأ منذ نهضة محمد صلى الله عليه وسلم بل انه يبـدأ قبل ذلك بالاف من السنين ، فمن هـم الآشوريون والفينيقيون والكلدانيون والقرطاجينيون والمصريون القـدمـاء ومن اين جـاؤا ، اولئك الاقـوام الـذين كونوا امبراطوريات استولت على نصف العالم والـذين هم اول من وضع للعالم اسس العدل والحضارة والارقام الحسابية وحروف الهجاء والموازين والمكاييل والهندسة والطب وقواعد الفلك ؟ فكل العالم يشهد انهم كلهم نزحوا من هذه الجزيرة المقدسة العربية وكلهم يرجعون الى اصل واحد نرتبط به نحن عرب القرن العشرين فاذا كان تاريخ امتنا العربية عشرين مجلدا فان تاريخ العرب المسلمين مجلد واحد فلنضفه الى اعالى تاريخنا وهناك نجد مجدا ونجد سموا ورفعة .

ونحن نحتاج الى تدوين تاريخ يقرر هذه النظرية لسببين رئيسيين فاول هذين السببين هو تقرير حقيقة يشهد بها العالم ويؤيدها المؤرخون على اختلاف مللهم ونحلهم

والسبب الثانى هو محاربة عدونا بسلاحه الذى يستعمله ضدنا اذ كلكم تعلمون ان اعداء الفكرة العربية موقنون ان اهم سلاح لديهم تحارب به الفكرة العربية الجامعة هو بث الفكرة الفرعونية فى مصر والفكرة الآشورية والكلدانية فى العراق والفكرة الفينيقية فى سوريا فان نحن اتيناهم وجهـا لوجه وقلنا لهم ان كل هـذه الفكر لا نرفضها بل نؤيدها لان كل هؤلاء الاقوام الذين تعنونهم هم ابناء الجزيرة العربية وهم اجدادنا ونحن انحدرنا من سلالتهم جميعا وانتسبنا اليهم وذلك ما يوحدنا ولا يفرقنا كما تتوهمون ، والامـة العربية فى القرن العشرين هـى الوارثة الوحيدة لامجادهم ومدنياتهم • كما ان بث هـذا المبدأ الان يجعل جميع الاقوام التى لم تنصهر الانصهار الكافى فى البوتقة العربيـة ترى ان لا طائل قومى او عرفى دون اتمام ذوبانها ذوبانا بالبوتقة العربية • اننا نريد تاريخا ايها السادة يدون ويقرر هذه الحقيقة لتأمين هذين الهدفين العظيمين وحين كنت فى مصر طلبت ذلك الى العشماوى بك وكيل وزير المعارف فى مصر فوعدنى خيرا وهتف للفكرة هتافا من الصميم كما ايدنى فيها سائر من كان حاضرا من زعماء وقادة الفكر فى مصر وها انى متوجه غدا نحو العراق حاملا اليها تحياتكم وامانيكم وما شاهدته فى سورية ومصر من اتجاهات نحو غايتنا الكبرى التى نسعى الى تحقيقها جميعا سائلا المولى ان يوفقنى فأرى فى زياراتى المقبلة لاقطارنا الشقيقة ان شجرة الوحدة القومية العربية المباركة قد نمت وازهرت واصبحت باسقة فينانة اصلها ثابت فى الارض وفرعها فى السماء •

———:o:———

وداع سورية (*)

من هنا من على ضفة بردى السندسية كان يحكم عبدالملك بن مروان نصف العالم ويقوده نحو اهداف العدل والفضيلة والشرف . فاذا شربت انا اليوم من ماء بردى العذب الرقراق بحب واكبار فلاننى اشرب ماء سقى اولئك القادة والزعماء والافذاذ الذين لم تنجب امهات العالم من يماثلهم فى العزة والكرامة والشرف والسؤدد . من هنا نزح عبدالرحمن الداخل هو واخوه الصغير ليفتح اوروبا الغربية وليلقح اقوامها بما يتمتعون به اليوم من مدنية سياسية ، وليعلمهم اسس الديمقراطية التى تتجلى فى اخلاق العربى الذى خلقه الله فارسا وطبعه بطابع الفروسية التى من صفاتها الممتازة ، الشجاعة ، والكرم ، والصدق ، والنبل ، واكرام الضيف ، والعفو عند المقدرة واعانة الضعيف . فانا ضيفكم اليوم ايها السوريون الاشقاء اكرمتمونى وابنائى واخوانى اطباء العراق ، ممثلين بناديكم العربى واعضائه الشباب الممتلىء نبلا وكرامة ، فهل تريدون منى ان اشكركم ؟ وهل رأيتم شخصا يشكر نفسه . لا والله لا استطيع ذلك ، لان ما فى قلبى لهو اسمى واعظم بكثير من الشكر . والى اللقاء يا سورية يا عروسة البلاد العربية ويا جنتها الزاهرة الزاهية دوما ابدا ان شاء الله ، الى يوم ترتفع من بيننا هذه المظاهر والاشكال التى يعلو وجهنا الامتعاض كلما تعثرت اقدامنا بواحدة منها حين نجتاز ما يسمى بالحدود ما بين البلدين وليس والله بيننا حدود ولا فواصل .

منك نستمد يا عبدالملك بن مروان ومنك نستمد يا هارون الرشيد الهاما للسير نحو هدفنا الاقدس .

• • • •

(*) الكلمة التى ارسلها الدكتور سامى شوكة الى السوريين حين مغادرته دمشق على رأس الوفد الطبى العراقى عائدا الى العراق .

سيادة العروبة ومظاهرها في سورية ومصر (*)

لم يكن المؤتمر الطبي العربي الذي اعتادت الجمعية الطبية عقده كل عام في قطر عربي ، مقتصرا على الابحاث الطبية وحدها وانما كان مدى تأثيره ابعد من ذلك ، فهو وسيلة لاجتماع رجال البلاد العربية وتعاونهم على ما يرفع شأن اقطارهم ويوحد جهودهم ، ويوفق بين الاتجاهات السياسية والثقافية والاقتصادية وغيرها ، وعندي ان هذا المؤتمر يشبه الرجل الذي يحاول حفر بئر لاستخراج الماء منها ، واذا به يستخرج ذهبا ، وهكذا اصبح تأثير المؤتمر الطبي العربي ، في ظاهره وباطنه ، وليس ادل على ذلك من الحفاوة التي يقابل بها الاعضاء اينما حلوا ، وكان الوفد العراقي يلقى الحفاوة الممتازة الخاصة والترحيب المنقطع النظير من جميع الاوساط ، لان العراق تنظر اليه الاقطار العربية كأنه مارس التجارب في الحياة السياسية واختبرته الحوادث وظفر بالنجاح وسبق غيره بقطع المراحل ، ومن حظ العراقي ان يزور تلك الاقطار ليلمس ذلك الشعور ويدرك مكانة العراق هناك .

وهذا الشعور هو الذي حملني في جميع الاحاديث التي تبادلتها واخواني ابناء سورية على نصيحتهم بعدم التردد في استشارة العراق بشأن الامور التي تتعلق بسياسة سورية ، وان العراق في كل وقت على استعداد لتقديم المشورة المفيدة وهو يرحب بذلك ولعل سورية لا ترى في هذه الاستشارة غضاضة ، فالعراق يعترف لها بالتفوق الثقافي والنشاط .

وكانت اقامة الوفد العراقي في سورية مدعاة للارتياح والغبطة ، ونزل في ضيافة النادي العربي مدة مكوثه ، اذ خرج عدد كبير من اعضائه الى استقبالنا من

قالت جريدة الاستقلال :

(*) على اثر عودة سعادة الدكتور سامي شوكة مدير الصحة العامة ورئيس الوفد العراقي الى المؤتمر الطبي العربي الذي انعقد في القاهرة من مصر قابلناه في داره العامرة ، وكان يفيض سرورا وابتهاجا بما رأى في تلك البلاد من حركة قومية ونزعة عربية وثابة وقد استطعنا ان ندون بعض الحديث الذي جرى بيننا قال سعادته :

ميسلون واغتنم الوفد هذه الفرصة فزار ضريح الشهيد المرحوم يوسف العظمة ، وبعد تلاوة الفاتحة لروحه الطاهرة ، قصد الوفد دمشق تسير وراءه قافلة كبيرة من سيارات المستقبلين ، وكانت الكشافة السورية على جانبى الطريق تحيى الوفد بتحيتها الكشفية وخرجت جماهير غفيرة من الاهلين بينهم بعض الاجانب للاستقبال وكان المنظر رائعا اشبه بالمظاهرة القومية ، وقد اقام النادى المذكور حفلة تكريمية كبرى للوفد ضمت مئات المدعودين من مختلف الطبقات تكلم فيها رئيس النادى والشاعر الكبير الاستاذ سليم الزركلى فأجبتهم على هذا الشعور الحى ، وعن مستقبل العروبة ، واضطر الوفد الى الاعتذار عن اجابة الدعوات الكثيرة التى وجهت اليه كما ان فخامة رئيس وزراء سورية ارسل ممثلا عنه للترحيب بنا ، وقبيل مغادرتنا اذعنا كلمة شكر لسورية ـ حكومة وشعبا ـ على حفاوتها بنا .

ثم انتقل سعادته من الحديث عما شاهده فى سورية الى مصر قائلا :

اما فى مصر فانى اشكر للاستاذ الدكتور طه حسين بك تصريحه وتفسيره للوحدة العربية الذى استفز الشعور القومى هناك واظهر الروح العربية الكامنة حتى رآها الدكتور نفسه متجلية ساطعة ولعلها بددت ظنونه السابقة وافكاره الخاصة ، ولولا حديثه لما اتيحت لمصر هذه الفرصة السعيدة التى تمكنت بها من الاعراب عن نزعتها العربية الخالصة ، نعم اشكر له من صميم القلب ورجائى اليه ان يزيد من هذه الاحاديث وان كانت خلاف عقيدتنا وعقيدة مصر ليدرك رد الفعل فيكون اول المؤمنين بالقومية العربية ، ويؤجج ايضا نار العروبة فى الكنانة ويأخذه التيار القومى من حيث يشعر او لا يشعر ، وابرز ما جعلنى ابتهج واغتبط نجاح افراد البعثة العراقية فى الجامعة المصرية بتفوق فقد هنأنى العشماوى بك بصورة خاصة على ما وهبهم الله من ذكاء ساطع وخلق نبيل وقال انهم جميعا يحرزون الدرجات الممتازة والاولية فى الامتحانات .

والذى يدعو الى السرور اكثر من سواه ان الطلبة العراقيين اثروا تأثيرا محسوسا فى نفسيات رفقائهم الطلبة المصريين وجعلوهم يدينون بمبدأ العروبة قبل غيره ، حتى صار معظم اولئك الطلبة الذين تأثروا بالعراقيين من اشد الدعاة للوحدة العربية والايمان القومى ، ولا انسى تبادل الاحترام والمودة فيما بينهم وقد استرعت هذه

العواطف انظار اخوانهم التلامذة المصريين ، فانتخبوا عراقيا رئيسا لهم فى المؤتمر الجامعى الذى انعقد قبل بضعة اسابيع .

وارى من الخير ان احدثك عن ظاهرة قومية جديدة سوف تظهر فى مصر ، فقد وعد العشماوى بك ـ بناء على طلب منى ـ ان يقوم بما يلزم لوضع تاريخ مفصل جامع للامة العربية ، يستهدف فيه التربية القومية على غرار التاريخ التركى الذى استهدف فيه المرحوم كمال اتاتورك التربية القومية التركية فى كتابة تاريخها الشهير .

ولذلك طلبت منه ان يكون التاريخ المزمع وضعه مستهدفا اقرار الحقيقة التى ايدها جميع المؤرخين ، وهى ان الامبراطوريات التى تكونت فى الهلال الخصيب وافريقية وفى مقدمتها الامبراطوريات الاشورية والكلدانية والفينيقية والفرعونية وغيرها انما كونتها الامواج السامية التى تدفقت من جزيرة العرب والتى وضعت اسس العدل والتشريع والحق والفضيلة العامة ، فحمورابى اول من قال العين بالعين والسن بالسن كما هو منقوش على مسلته المحفوظة فى متحف باريس ، وباقرارنا لهذا المبدأ نكون قد اخذنا سلاح من يروم طعن العروبة بدعاوى الفرعونية والفينيقية والكلدانية ، ونصبح من المرحبين بهذه الدعاوى اذ كلها ترجع حسب التاريخ الذى سنضعه على هذا الاساس بمفاخرها وامجادها الى العروبة نفسها لانها الاصل ، فوافق العشماوى بك على هذا الرأى وابدى استحسانه ، ووعد بتحقيقه عاجلا .

وصار الادعاء بالعروبة فى مصر مدار فخر ومباهاة ، ولست ابالغ فى ذلك اذ رأيت بعينى ، وسمعت بأذنى كثيرا من عظماء مصر يباهون بأن كلا منهم كان اسبق من الآخر الى المجاهرة بالعروبة ولزوم اعتناق مبادئها المقدسة ، فقلت لهم اننا لا نطمع فى الوقت الحاضر ان تحبونا بقدر ما نحبكم وانما نقنع بعدم رفضكم حبنا ، ونحن مطمئنون الى اننا فى المستقبل القريب بقوة حبنا النزيه لكم سنحتل قلوبكم بحيث لا نترك فيها مكانا يتسع لغير العروبة المقدسة ، وسنجعل زعماءكم ومفكريكم وادباءكم كل واحد منهم عبدالرحمن عزام وعبدالوهاب عزام والعشماوى ، فى الايمان بالعروبة والسعى لتحقيقها ، وذلك بما فيهم استاذنا الكبير العلامة الدكتور طه حسين ، بهذه الصراحة كان يجرى حديث القومية ، فى المنتديات والاندية والحفلات .

وقد اقام لنا صاحب المعالى كامل البندارى باشا وكيل رئيس الديوان الملكى مأدبة غذاء شائقة جمعت الكثيرين من عظماء مصر وفى مقدمتهم فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ

المراغي وحسنين باشا وعلى الشمسى باشا وسائر بشوات البلاط المصرى وكان الحديث يدور اثناء الطعام وقبله وبعده حول لزوم توحيد جهود البلاد العربية وتوجيهها نحو التعاضد والتعاون وتكوين مجموعة دولية عربية ليتسنى لها درء ما يحيط بهذه الاقطار من الاخطار ، وقلت لهم بصريح العبارة ان الذى يملك دارعة حربية اقوى ممن يملك عشرين او ثلاثين زورقا صغيرا ، وفى اجتماعات كثيرة كان المصريون يؤيدوننى بان الذى ينكر الوحدة العربية ما هو الا احد رجلين اما بليد واما خائن فالخائن ينبغى القضاء عليه والبليد يجب ارساله الى دار الشفاء وودعت مصر بمثل هذه العبارة « انتم الذين اعتمد عليهم موسى بن نصير وطارق بن زياد وعقبة بن نافع فى فتح افريقيا واوربا الغربية فنريد منكم ان تخرجوا لنا امثالهم » .

هذه بعض انطباعاتى عن الحركة القومية فى سورية ومصر ، وانى قوى الايمان شديد التفاؤل بمستقبل العروبة وانتصار مبادئها ، والحمد لله اولا وآخرا .

فشكرنا لسعادته مساعيه التى بذلها فى رحلته هذه ، وتفضله علينا بهذا الحديث القيم .

◆ ◆ ◆ ◆

حديث (*)

مع مندوب جريدة « العالم العربي »

س ـ ما هو الاثر الذى تركه فى نفسكم المؤتمر الطبى العربى الثانى المنعقد فى القاهرة ؟

ج ـ هو اثر من يروم حفر بئر لاستخراج الماء فيعثر على ذهب . حيث ان المؤتمر الطبى العربى الثانى كان يستهدف رسميا معالجة الناحية الطبية والفنية فقط بينما شاهدنا فجر الوحدة العربية والجامعة العربية المقدسة يبزغ من سمائه .

س ـ ما هى اهم مقررات المؤتمر ؟

ج ـ هى توحيد المصطلحات الطبية العربية واتخاذ اقصر الطرق فى معالجة امراض البلاد الحارة والاستمرار على عقده كل سنة بصورة منتظمة .

س ـ هل لديكم ملاحظات شخصية على هذا المؤتمر ؟ وما هو رأيكم فى المؤتمر الطبى العربى القادم ؟ وما هى مقترحاتكم (ولو انها سابقة لاوانها) بشأنه ؟

ج ـ ان ملاحظاتى عن هذا المؤتمر هى ملاحظات الاعجاب والتبجيل . اما رأيى فى المؤتمر الطبى العربى القادم فهو ان يكون فى بلد عربى وذلك لعدم تمكن البلاد غير

نشرت جريدة العالم العربى هذا الحديث بعد ان مهدت له بقولها :

(*) قدم العاصمة عصر الاحد الماضى صاحب السعادة الدكتور سامى شوكة مدير الصحة العام ورئيس الوفد الطبى العراقى الى مصر بعد ان قضى فى الاقطار الشقيقة بضعة ايام كان فيها موضوع حفاوة كبار رجالات البلاد العربية الشقيقة نظرا الى ما يتمتع به سعادته من منزلة سامية واحترام كبير من قبل ابناء البلاد الشقيقة .

وسعادة الدكتور سامى شوكة من الشخصيات البارزة فى العراق وهو من دعاة الوحدة العربية الكبرى وزعيم النشاط القومى فى العراق وصاحب صناعة الموت واليه يرجع الفضل فى ادخال النظم العسكرية فى مناهج المدارس عندما كان مديرا عاما للمعارف وقد اتصل بسعادته مندوب هذه الجريدة وطلب منه الادلاء بحديث على اثر عودته من مصر فتكرم سعادته بالحديث التالى :

العربية من فهم لغة المؤتمر الرسمية وهى اللغة العربية وعدم تمكن اعضاء المؤتمر من التكلم بلغة القطر غير العربى الذى لا يمكن انعقاد المؤتمر فيه وربما يكون عدم الاتفاق على قبول لغة اوربية تكون لسانا رسميا للمؤتمر مع افساح المجال لدعوة سائر من يرغب الحضور من اطباء الشرق والغرب من غير العرب لحضوره والترحيب بهم وانزالهم المنزلة اللائقة بهم من الاحترام والتكريم .

س ـ كيف رأيتم الشعور القومى فى الاقطار العربية التى مررتم بها فى طريقكم الى حضور المؤتمر ؟

ج ـ اشكر الله تعالى على اننى وجدت مصر قد اصبحت بمفكريها وادبائها وشعرائها تشعر بالشعور الكريم العميق انها عربية وبانها اولى بالمسؤولية فى السعى لتحقيق هدفنا المقدس حتى الدرجة التى نستطيع بها درء ما يحيط بنا جميعا من اخطار .

اما سورية بما فيها لبنان فهى مادة يدها اليمنى الى مصر ، واليسرى الى العراق متمسكة بقطريها الشقيقين ، تحاول النهوض والخلاص من موقفها الشاذ الحالى .

س ـ والآن بعد رحلتكم هذه ما هو رأيكم بتحقيق الوحدة العربية ؟ وهل انكم ما زلتم باقين على فكرتم القائلة بوجوب قيام العراق ومصر بتحقيق الامبراطورية العربية المستقبلة ؟

ج ـ لقد تحقق ما قلته فى نادى المثنى عن الوحدة العربية الكبرى المستقبلة ولمست هذه الحقيقة لمسا بما شاهدته فى سورية ولبنان ومصر من ان مصر والعراق هما الشقيقان المسؤولان عن انقاذ سائر البلاد العربية لانهما القطران اللذان يتمتعان بالاستقلال التام والقوة المالية والثقافية والحربية تلك العناصر الاربعة التى بدونها لا يمكن السعى لتحقيق الوحدة والاستقلال .

س ـ هل دار الحديث بينكم وبين بعض الشخصيات العربية حول وجوب توحيد الجهود لانشاء الوحدة العربية ؟

ج ـ لم يدر بينى وبين الشخصيات التى اجتمعت بها وتحادثت معها غير الحديث عن العروبة وعن الوحدة العربية المستقبلة وكان كل هؤلاء العظماء والمفكرين يؤيدوننى تمام التأييد لاسيما اذ كنت اقول لهم : « ان من يملك دارعة هو آمن واقوى ممن يملك عشرين او ثلاثين قاربا » والذى لا يؤمن بالوحدة العربية الكبرى احد رجلين اما خائن واما بليد ، فالخائن ينبغى القضاء عليه . اما البليد فيجب ارساله الى دار الشفاء للمعالجة .

س ـ ما هو اقتراحكم لتحقيق فكرة الامبراطورية العربية المستقبلة ونجاحها ؟

ج ـ ان ذلك قد بينته فى خطابى الذى القيته فى نادى المثنى ونشرته جريدتكم فى حينه ففيه طلبت تأليف حزب يكون له مركزان رئيسيان الاول فى العراق والثانى فى مصر . وله فروع فى سائر البلاد العربية ، وهذا الخطاب لخصته بمحاضرتى التى القيتها فى الحفلة التى اقامها الطلاب العراقيون فى مصر والتى حضرها ما ينوف على المائتين من رجال مصر العظماء . وقد أيدنى فى ذلك جميع الحاضرين على الاطلاق .

س ـ واذا ما تحققت هذه الفكرة كيف تكون قضية الخلافة التى تتحدث عنها الجرائد بين آونة واخرى ؟

ج ـ ان الدين نظام اجتماعى سام لا سعادة لمجتمع من دونه والشخص الذى لا دين له لا اخلاق له والشخص الذى لا اخلاق له يجب على المجتمع نبذه . اما السياسة فانها تبنى بالدرجة الاولى على المصالح والمنافع العامة ، والقربى الدموية ، واللغة ، والاوضاع التاريخية والاقتصادية والجغرافية . والدول العصرية كافة قد جعلت الدين محترما الى درجة رفعته فوق مستوى المنافع الدنيوية والمصالح العامة التى تتطور بتطور التاريخ ولذلك جعلته أجل من ان ينحط الى مستوى المنافع الدنيوية .

س ـ كيف رأيتم الشعور القومى فى البلدان العربية نرجوكم ان تصفوا لنا ذلك بصفتكم زعيم الشعور القومى فى العراق ؟

ج ـ اقصد بالشعور القومى الاعتزاز بماضى امتنا المجيد الذى نؤمن به تمام الايمان . وان من يشعر به من اعماق قلبه يترفع عن كل ما هو وضيع وصغير ولا يتطلع الا الى كل ما هو سام ومجيد . فاقصد من الشعور القومى او من الغرور القومى الذى ينسبه الى البعض هذا القصد لا غيره فاريد ان يكون الفرد العربى شاعرا ومغرورا ومعتزا بقوميته بقدر شعور وغرور واعتزاز الانكليزى بانكليزيته والالمانى بالمانيته .

س ـ كيف شاهدتم صناعة الموت فى الاقطار الشقيقة ؟

ج ـ لقد برهن لنا التاريخ القديم والحديث على ان الامة التى لا تتقن صناعة الموت اتقانا تاما توطأ بالاقدام ولا يحق لها ان ترفع رأسها بين الامم عاليا وهذا ما قلته جهارا وفى كل المآدب والحفلات التى اقيمت تكريما لنا فى مصر وسورية ولبنان وقد قلت لاخوانى هناك بصريح العبارة ان من لا كرامة لبلاده لا كرامة لشخصه مهما سمت به منازل العلم والثروة وبعد اتمام هذا الحديث القيم شكرنا سعادته على لطفه فودعنا بما عرف عنه من اللطف والبشاشة .

اذا... (*)

للشاعر رودیارد کبلنغ

اذا كنت تستطيع ان تحافظ على اتزانك حين يفقد الناس اتزانهم وينحون فى هـذا باللائمة عليك .

اذا كنت تستطيع ان تثق بنفسك بينما يرتاب الناس فيك على ان تحسب لريبتهم حسابا .

اذا كنت تستطيع ان تصبر وان لا يعييك الصبر وحين يكذب عليك فلا تعنيك الاكاذيب وحين تكون مكروها فلا تدع للكراهية سبيلا الى نفسك .

ومع ذلك لا تغالى فى التظاهر بالصلاح ولا تمعن فى القول الحكيم .

اذا كنت تستطيع ان تحلم على ان لا تستحوذ عليك الاحلام .

اذا كنت تستطيع ان تفكر على ان لا تجعل الافكار غايتك .

اذا كنت تستطيع ان تلقى النصر والنكبة وان تكون انت انت فى هاتين الحالتين الغرارتين .

اذا كنت تستطيع ان تحتمل سماع الحق الذى جهرت به يحرفه الخبثاء ليكون فخا لاصطياد الاغبياء .

او ان ترى الامور التى وقفت لها حياتك تتحطم ثم لا تلبث ان تنحنى لتشييدها ثانية بالعدد البالية .

واذا استطعت ان تجمع كل ارباحك فى كومة واحدة وان تخاطر بها فى رمية زهر (صفقة رهان) فتخسرها .

ثم لا تلبث حتى تشرع فى استعادتها من جديد دون ان تنبس بنابسة .

(*) كثيرا ما كان سعادة الدكتور سامى شوكة ينصح الاساتذة بقراءة هذه القصيدة وتدريسها للطلاب اذ تعتبر بحق نموذجا للفضائل التى يجب ان يتحلى بها الفرد .

واذا ذهب فؤادك وتلاشت قواك ووهنت اعصابك ثم استطعت ان ترغمها كلها على ان تعود فتنفعك ثانية حين الحاجة اليها وان تمضى وليس لك الا هـذه الارادة تهيب بقواك ان اثبتى •

واذا استطعت ان تخاطب عامة الناس محافظا على خصائصك •

وان ترافق الملوك دون ان تفقد المسحة العامة •

واذا اعجز اعداءك الالداء واصدقاءك المحبين ان يمسوك باذى •

واذا اعتمد كل الناس عليك على الا يشتط احد منهم فى هـذا •

واذا كنت تستطيع ان تشغل الدقيقة التى لا تكف عن السير لاجلك وان تملأ بالعمل ثوانيها الستين فلك الدنيا وما فيها ولك ما هو اعظم من ذلك ان تغدو رجلا يا بنى •

DATE DUE

13 JUN 2001

Circulation Dept.

892.74 Sh536a
شوكة، سامي
هذه اهدافنا
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01039235